

المولود في بيت الله الحرام
علي بن أبي طالب عليهما السلام أم حكيم بن حزام؟

ISBN 978-9933-489-16-8



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد لسنة ٢٠١١ ـ ١٦١

الرقم الدولي: ٩٧٨٩٩٣٣٤٨٩١٦٨

BP
٣٧ / ٠٨
/ ٥ ح
٨٨ م

الحسني، نبيل، ١٩٦٥ ــ م.

المولود في بيت الله الحرام: علي بن أبي طالب عليه السلام أم حكيم بن حزام؟ / دراسة وتحقيق نبيل الحسني. كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ١٤٣٣ق. = ٢٠١٢م.

١٤٤ص. ـ (قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة؛ ٧٦).

المصادر: ص١٣٠-١٣٧؛ وكذلك في الحاشية.

علي بن أبي طالب (ع)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ق- ميلاد - دراسة وتحقيق. ٢ . علي بن أبي طالب (ع)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ق- ميلاد - شبهات وردود ٣ . علي بن أبي طالب (ع)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ ق- فضائل. ٤. حكيم بن حزام بن خويلد - ميلاد - شبهات وردود. ألف العنوان.

BP ٣٧ / ٠٨ / ح ٥ م ٨٨

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

المولود في بيت الله الحرام
علي بن أبي طالب عليه السلام أم حكيم بن حزام؟

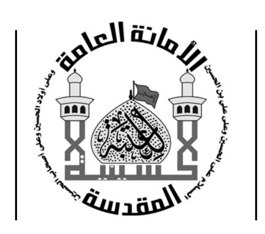
دراسةٌ وتحليلٌ وتحقيقٌ

السيّد نبيل الحسني

إصدار
شعبة الدراسات والبحوث الإسلاميّة
في قسم الشؤون الفكريّة والثقافيّة
في العتبة الحسينيّة المقدّسة

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م



العراق: كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية – هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com



الإهداء

إلى من خصّه الوحي بقوله:

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾[1].

إلى من خصّه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

باسمه وكنيته وخَلقه وخُلقه

إلى من خُصّ بفاطمة عليها السلام

فكان المهدي من ولدها

إلى ولي الأمر والنعمة

والوارث لـ:

﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[2].

أهدي كتابي.. ملتمساً المنّة.

خادمكم.. نبيل

---

(١) سورة هود، الآية: ٨٦.

(٢) سورة ص، الآية: ٣٩.

مقدمة اللجنة العلمية

تركت مسألة ولادة الإمام علي عليه السلام في الكعبة المشرفة جدلاً محتدماً بين بعض الأوساط مثيرةً للذاكرة التاريخية لأن تتحفز لاستعادة هيمنة الحدث "المعجز" على كل حيثياتها، فهي تستعيد تلك اللحظات التي وقفت فيها فاطمة بنت أسد أمام الكعبة داعيةً الرب أن يفرّج لها ولادة هذا المولود، وهكذا شاهد الجميع أن «البيت قد انشق عن ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا وعاد إلى حاله» حيث وردت الصحاح من الأخبار حتى قال قائلهم .. فرحنا أن ينفتح لنا قفل الباب، فلم ينفتح فعلمنا أن ذلك من أمر الله تعالى .. إذن هذه المعجزة كانت بأمر الله تعالى فكيف بنشرها وحفظها عن أولئك المتسولين على موائد السلطان، بل الذين لم يجدوا لمآربهم منفذاً حتى يطعنوا في فضائل غيرهم أو يصادروا مناقب آخرين، أو يجتهدوا في دعوى مآثر الصفوة ليحوزوها إلى أنفسهم زوراً أو تعدياً بغير حق .. ولعل نموذجاً مهماً من تلك النزاعات المثيرة للجدل هو ما ارتكبه آل الزبير من غمط حقوق الآخرين وإضافتها إلى أنفسهم، أو نسبة أخطائهم إلى غيرهم كما نسبوا ما لسكينة بنت خالد الزبيرية ومجالستها الشعراء وزيجاتها المتعددة الى السيدة سكينة بنت الحسين عليهما السلام، وقد استدركنا هذه المقولة المنسوبة

إلى السيدة سكينة عليها السلام وأكدنا بالدليل ان كل ما نُسبَ لسكينة بنت الحسين والتي أثبتنا أن اسمها الشريف (آمنة) كانت من مشهورات سكينة الزبيرية، حتى ارتكب آل الزبير حماقات تحقيقية لا ترقى إلى الواقع بأدنى تأمل، ومن تلك الحماقة المفضوحة هو ما نسبه الزبير بن بكار إلى حكيم بن حزام من ولادته في الكعبة متجنياً على أعظم فضيلة لعلي بن أبي طالب حينما شرفه الله تعالى بالولادة المعجزة حينما خصه بولادته في الكعبة لا يسبقه سابق من نبي ولا وصي، ولا يلحقه لاحق من شريفٍ ولا وليّ، فكانت مأثرة الولادة المعجزة من أعظم المآثر الإنسانية التي يسجلها التاريخ بكل اعتزاز، في حين نجد قطاع طرق الأخبار من الزبيريين ـ الزهريين ـ يسرقونها لصالح حكيم بن حزام الزهري متجاوزين بذلك كل المسلمات التاريخية التي اتفق عليها الجميع، من هنا جاءت دراسة سماحة السيد نبيل الحسني الموسومة «المولود في بيت الله الحرام؛ علي بن أبي طالب عليه السلام أم حكيم بن حزام» فقد أثبت بأدلته المفحمة أن زهرية الزبيريين تدفعهم للانتصار إلى زهرية حكيم ليصادروا أعظم ملحمة سجلتها السماء.. وبهذا قدمت الدراسة تنبيهاً آخر على الخروقات الزبيرية المضادة لأهل بيت العصمة والطهارة..

ع/اللجنة العلمية

السيد محمد علي الحلو

النجف الأشرف

مقدمة الكتاب

«الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر بما ألهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسدآها وتمام منن أولاها، جمّ عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها»[1].

والصلاة والسلام على خير الأنام وعلى آله الهداة إلى الإسلام.

أمّا بعد: ما تزال المكتبة الإسلامية وإلى يومنا هذا تأن من عبث الأقلام المتزلفة لأرباب النّعم وتشكو من عبث الأهواء بما اختزنته سيرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم من قيم.

فتتبعتْ كل ما له علاقة بالآل النبوية فألجئته إلى التعتيم تارة والتغير ثانية والتضليل ثالثة، وما ولادة الإمام علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام إلا واحدة من الحوادث التاريخية التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بهوية المسلم ودليل يرشد الناظر إلى شخصيته ومكوناته العقائدية فحوربت هذه الحادثة بالتعتيم والتغيير والتضليل حتى يخال المرء نفسه أمام مسلّمات قاطعة بأن صاحب الحدث هو حكيم

(١) هذا ما ابتدأت به سيدة نساء العالمين خطبتها الاحتجاجية في المهاجرين والأنصار في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الاحتجاج للشيخ الطبرسي: ج١، ص١٣٣، مقتطفات من خطبة الزهراء عليها السلام.

بن حزام ليمضي بين بديهيات العقل الذي يقف مستدلاً وهو يقرأ تأريخ الأمم الأخرى والديانات المتعددة سواء ما كان منها مرتبطاً بالسماء كالأنبياء والمرسلين أم كان مرتبطاً بالأرض كأصحاب المعتقدات والمذاهب الفكرية والحركات الإصلاحية التي ينطلق أصحابها من رؤاهم وتأملاتهم وأفكارهم معتمدين في ذلك على جملة من المعطيات الفكرية والظواهر الحياتية فكانت حياتهم مسجلة عند أتباعهم ومقدسة لدى من يؤمن بهم ينقاد لها الكبير وينشئ عليها الصغير حتى عدّه جزءاً لا يتجزأ من المكون الوجودي لهذه الأمم.

سوى هذه الأمة فهي أعجب الأمم في محاربة رموزها وتضليل أبناء جلدتها وكأنها في حرب مع بني الإنسان فكيف بني دينهم ومن يعتقدون بنبيهم صلى الله عليه وآله وسلم.

حتى تخال أنك تقرأ لأمتين مختلفتين لا أمة واحدة إن لم يذهب بك الدليل إلى أنها أمم عدة تخالفت في المعتقدات والتوجّهات والمعطيات الفكرية فكونت لها ثقافات متعددة وأديولوجيات متنوعة لا تكاد تجتمع في ظواهرها الواحدة فكيف هي في بواطن الأمور أنه أمر يحتار فيه اللبيب ويجاهد فيه الباحث.

من هنا:

قد لا يولي المسلم هذا العنوان الذي دار فيه بحثنا قسطاً من اهتماماته فالأمر لا يتعدى من كونه حادثة صغيرة مرّ عليها مئات السنين، ونقول:

هنا يكمن الخلل في ثقافة القراءة فالتصاغر أمام الأحداث التي شكلت مكونات الهوية والعقيدة الإسلامية يؤدي إلى فقدان الهوية وضياع الشخصية فضلاً

عن التنازلات التي تؤدي إلى التذويب فيصبح الإنسان وعنوانه الحياتي: (ولا أدري).

لذلك: لم نكن ننظر إلى حادثة الولادة في بيت الله الحرام من منظور الحدث التاريخي، فالحوادث التاريخية تعج منها الكتب، فضلاً عن كونها مداد المؤرخ، ولكن: نحن أمام موضع اقترن بالخالق سبحانه وتعالى وفي محل ارتبط بسلسلة من الأنبياء عليهم السلام ابتداءً من آدم عليه السلام وانتهاءً بالمصطفى أبي القاسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومن ثمّ فالحدث قد اختزن بين دفتيه هذا التراث النبوي، وامتزج بذراته هذه الحرمة والقدسية.

إذ قد حظي صاحب الولادة في بيت الله الحرام بما لم يحظ به نبي أو رسول على الرغم مما لديهم من شأنية عند الله تعالى ووجاهة.

حتى نبي الله عيسى عليه السلام الذي انفرد في ولادته بخصائص فريدة فيما بين الخلق إلا أنه حينما حانت ولادته وجاء المخاض لمريم عليها السلام أمرتها الملائكة بالخروج من بيت المقدس ولم يؤذن لها بالمخاض فيه بل اُختير لها من الأراضي كربلاء كما نصت عليه الأحاديث الشريفة الواردة عن العترة المحمدية صلوات الله عليهم أجمعين[1].

ولذلك:

نحن أمام حدث تفرد في جميع خصوصياته ومكوناته لما ارتبط به من أسس عقائدية كان مرتكزها الأول الأنبياء والمرسلين ووجود البيت الحرام التي هي من

(١) للمزيد من الإطلاع ينظر: حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية للمؤلف.

حيث وقوعها الدنيوي مقدمة على نزول القرآن وسنة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

إذن: وجدنا أن الحدث شكل أهمية بالغة تفرض على المسلم والباحث التحقق والدراسة كي يعطي هذا المولود حقه مما اختار الله له من الشأنية التلازمية لما للبيت الحرام من شأنية ووجاهة عند الله تعالى والأنبياء والناس أجمعين.

فكان البحث ضمن مباحث خمسة تناولنا فيها مجموعة من العناوين التي قادتنا إليها نصوص المصنفين، فكان كالآتي:

المبحث الأول: تضمن دراسة النصوص التي قدمت لنا هذه الشخصية التي حظيت بالولادة في بيت الله، أي (حكيم بن حزام).

وناقشنا ما أورده المصنفون من ترجمة لهذه الشخصية لنخضع للدليل الذي يلزم العاقل بأهلية هذه الشخصية لهذه الميزة الفريدة فوجدنا أن الدليل قادنا إلى العكس لاسيما وأن الرجل قد عايش الأحداث السياسية التي عبر عنها المؤرخون بـ(الفتنة) خلال نصف قرن، ومن ثم لا يمكن أن يكون حكيم بن حزام بمنأى عن هذه التجاذبات العقائدية والصراعات السياسية بين الصحابة، وتأثير ذلك على حدث الولادة في الكعبة.

المبحث الثاني: بحثنا فيه خصوصية الولادة في الكعبة (أعزها الله) من خلال محورين أساسيين وهما أتعدّ حرمة الولادة في الكعبة حرمة ذاتية أم اكتسابية؟ وخلصنا فيه إلى أن الخصوصية لهذا الحدث هي اكتسابية، ومرهونة بمن يعتقد بما للكعبة من حرمة وتعظيم.

في المبحث الثالث: تم عرض الأقوال في الولادة في الكعبة على طاولة البحث ومناقشتها.

في المبحث الرابع: خلصنا من خلال دراسة الأقوال في ولادة حكيم بن حزام إلى أنها انطلقت في المجتمع الإسلامي من شخصيتين وهما (الزبير بن بكار وعمه مصعب بن عبد الله) ووجدنا ــ وفي ضوء هذه الدراسة ــ أنهما كانا على عداء شديد مع علي بن أبي طالب عليه السلام صاحب الولادة في البيت الحرام والذي تواترت عليه الروايات.

وفي المبحث الخامس: أوردنا النصوص التي تؤكد أن الولادة في الكعبة كانت لعلي بن أبي طالب عليه السلام فضلاً عما تفرضه سيرة الإمام علي عليه السلام على المتتبع للتاريخ الإسلامي والإنساني من تفرده في هذه الولادة حتى مع عدم وجود الروايات فيكفي أنه القائل في آخر لحظات حياته فزت ورب الكعبة.. أفلا يكون هو وليدها؟

إنها سيرة بدأت من بيت الله وانتهت في بيت الله.

في يوم الخامس عشر من شعبان

يوم ولادة ابن وليد الكعبة

الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف

السيد نبيل قدوري حسن علوان الحسني

لسنة ١٤٣٢هـ/ الموافق ٢٠١١م



المبحث الأول

من هو حكيم بن حزام

الذي حظي بهذه الميزة الفريدة؟

المسألة الأولى: ما ذكره أهل التراجم عن هذه الشخصية ودراسة هذه الأقوال

إنّ تفرّد حكيم بن حزام في (الولادة في الكعبة) كما يعتقد بعض المسلمين لتدفع بالقارئ أو الباحث إلى الوقوف عند هذه الشخصية ودراسة حالها وما يحيط بها كي يصل الدارس إلى حقيقة هذا المدعى ؛ أو في الأقل يقف عند هذا التميز والتفرد في منقبة لم يحظَ بها أحد من بني آدم.

وهنا ينبغي السؤال ، أي : كونها منقبة كما صرح بذلك الحافظ النووي قائلاً : (ومن مناقبه أنه ولد في الكعبة ، قال بعض العلماء : ولا يعرف أحد شاركه في هذا)[1].

أو كما يقول الحافظ الذهبي : (وله منقبة ، وهو أنه ولد في جوف الكعبة)[2].

أَتعدُّ هذه الولادة في جوف الكعبة من المناقب الأخروية أم أنها من المناقب الدنيوية التي خلقتها الظروف التي أعقبت وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) المجموع : ج٢ ، ص٦٦.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي : ج٤ ، ص٢٠٠.

وسلم وما شهده الإسلام من متغيرات عقائدية واجتماعية ونفسية وسياسية أفرزتها الحروب الداخلية ومن تسبب بها وجهز إليها فكانت نتيجتها قتل أهل البيت عليهم السلام وقتل الصحابة فضلاً عن التجاذبات الفكرية بين هذا الصحابي وذاك لينتهي الحال بالأمة على تفرقها إلى ثلاث وسبعين فرقة. أم أن هذه الولادة من المناقب الأخروية التي أكرم الله بها حكيم بن حزام من بين خلقه.

إذن:

يلزم الباحث الوقوف عند هذه الشخصية التي نالت هذه الخصوصية من بين بني آدم فضلاً عن المسلمين فكان الوحيد ــ كما يقولون ــ الذي ولد في جوف الكعبة؟

أولاً: ما ذكره ابن حجر (المتوفى سنة ٨٥٢هـ) ودراسة هذه الأقوال

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في ترجمته لحكيم بن حزام:

(حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدي، بن أخي خديجة زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ واسم أمه صفية، وقيل: فاختة، وقيل: زينب بنت زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزي.

يكنى: أبا خالد، وله حديث في الكتب الستة.

١ . روى عنه ابنه حزام، وعبد الله بن الحارث بن نوفل، وسعيد بن المسيب، وموسى بن طلحة، وعروة وغيرهم.

قال: موسى بن عقبة عن أبي حبيبة مولى الزبير سمعت حكيم بن حزام يقول: ولدت قبل الفيل بثلاث عشرة سنة وأنا أعقل حين أراد عبد المطلب أن

يذبح عبد الله ابنه، وذلك قبل مولد النبي صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم بخمس سنين.

وقتل والد حكيم ـ أي: حزام بن خويلد ـ في حرب الفجار وشهدها حكيم.

وحكى الزبير بن بكار أن حكيماً ولد في جوف الكعبة، قال: وكان من سادات قريش وكان صديق النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قبل المبعث وكان يودّه ويحبه بعد البعثة ولكنه تأخر إسلامه حتى أسلم عام الفتح.

وهنا نقول:

أ . نلاحظ أن القول في ولادة حكيم بن حزام في الكعبة لم يكن من قبل حكيم بن حزام إذ لم يصرح بذلك في أي رواية من الروايات وإنما كان يذكر لنا التاريخ فقط في هذه الولادة كقوله: «ولدت قبل الفيل بثلاث عشرة سنة». ولم يذكر أين مسقط رأسه في حين أن هذه الولادة كانت تقتضي الشهرة بل والافتخار لاسيما وأن قريشاً تحرص وتقاتل من أجل التفاخر. فكيف يكون الزبير بن بكار يعلم بولادة عم أبيه حكيم وهو لا يعلم؟!

ب . أما كونه صديقاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل المبعث وكان يوده ويحبه فسيمر بيانه في دراسة أقوال الحافظ ابن عساكر الأموي.

٢ . ثبت في السيرة وفي الصحيح أنه صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قال: من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن، وكان من المؤلفة قلوبهم، وشهد حنيناً وأعطى من غنائمها مائة بعير ثم حسن إسلامه.

أما قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من دخل دار حكيم بن حزام

فهو آمن فذلك مرجعه إلى أن دار حكيم كانت أسفل مكة ودار أبي سفيان كانت في أعلى مكة والبيت الحرام في الوسط[١]، بمعنى إن النبي الأكرم أراد أن يكف المسلمون عن سفك الدماء في هذا البلد الحرام وكي يسهل على الناس الالتجاء ضمن هذه النقاط الثلاث. سوى من تجرأ وحمل السيف لقتال المسلمين فهو مقتول ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة.

فضلاً عن ذلك فإن اختيار النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهذا الدور إنما كان لطلب العباس بن عبد المطلب وخاصة فيما يتعلق بأبي سفيان قائلاً: يا رسول الله أبو سفيان بن عمنا وأحب أن يرجع معي ولو أخصصته بمعروف، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

من دخل دار أبي سفيان فهو آمن[٢].

فلما أمرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالانطلاق عاد العباس بن عبد المطلب وقال: يا رسول الله إني لا آمن أبا سفيان أن يرتد فرده حتى تريه جنود الله، فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

افعل.[٣]

والرواية تدل على كرامة العباس بن عبد المطلب لدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأخذ بمشورته وذلك لسنه وموقعه منه ومعرفته برموز قريش وما يصلح لهم.

---

(١) المعجم الكبير للطبراني: ج٨، ص٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) نيل الأوطار للشوكاني: ج٨، ص١٧٤.

ولذلك نجده هو الذي بادر من الأساس إلى أن يرسل إلى أهل مكة من يخبرهم بخروج النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إليهم ليفتح مكة فجاء عند ذلك أبو سفيان وحكيم بن حزام لأنهما لو دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفتحها فسيكونان أول الخاسرين لأنهما من أشهر أصحاب المال والتجارة. لذا قدما على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليأمنا على أموالهما قبل دخول النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

بل، نجد أن أبا سفيان يصرح بذلك لزوجته هند بنت عتبة حينما عاد إلى مكة وهو يقول من دخل داره فهو آمن (إن أقبلت عليه فأخذت بلحية أبي سفيان ثم نادت يا آل غالب اقتلوا هذا الشيخ الأحمق، فقال أبو سفيان: فأرسلي لحيتي فاقسم بالله إن أنت لم تسلمي لتضربن عنقك)[١].

وليقينه بأنه إن لم يسلم ستضرب عنقه وتذهب أمواله، فقد ذهب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما وصله الخبر بالخروج إلى مكة.

وعليه: لم يعد هذا القول، أي الدخول إلى دار حكيم بن حزام لخصوصية حكيم بن حزام وإنما لموقع داره ولأنّه قد قدم مع أبي سفيان على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٣. وكان قد شهد بدراً مع الكفار ونجا مع من نجا فكان إذا اجتهد في اليمين قال: والذي نجاني في يوم بدر.

قال الزبير ـ بن بكار ـ: جاء الإسلام وفي يد حكيم الرفادة وكان يفعل

(١) مجمع الزوائد للهيثمي: ج٦، ص١٧٣.

المعروف ويصل الرحم ؛ وفي الصحيح أنه سأل النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فقال أشياء كنت أفعلها في الجاهلية إلي فيها أجر؟ قال صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم :

«أسلمت على ما سلف لك من خير».

وكانت بيده دار الندوة فباعها بمائة ألف درهم لمعاوية فلامه عبد الله بن الزبير.

وكان من العلماء بأنساب قريش وأخبارها ؛ مات سنة خمسين ، وقيل سنة أربع ، وقيل ثمان وخمسين ، وقيل سنة ستين ، وهو ممن عاش مائة وعشرين سنة شطرها في الجاهلية وشطرها في الإسلام.

قال البخاري : مات سنة ستين وهو بن عشرين ومائة سنة ، وقيل مات لعشر سنوات من خلافة معاوية)[١].

أقول : أما فيما يتعلق بالرفادة وأنه كان يصل الرحم وأنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن أشياء كان يفعلها في الجاهلية فأسلم على ما سلف من هذه الأعمال الخيرة فسيمر جوابه في دراسة أقوال ابن عساكر.

ثانيا: ما ذكره الحافظ بن عساكر (المتوفى سنة ٥٧١هـ) ودراسة هذه الأقوال

أفرد الحافظ ابن عساكر الأموي لحكيم بن حزام ترجمة طويلة في تاريخه لدمشق ولكنها وعلى الرغم من طولها لم يرد فيها ما يدل على منقبة حازها الرجل مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنى له بالمناقب مع النبي صلى الله

---

(١) الإصابة لابن حجر: ج٢، ص٩٨.

عليه ـ وآله ـ وسلم وقد أسلم في فتح مكة وكان من المؤلفة قلوبهم أما ما عدا هذا فقد أطال ابن عساكر في حديثه عن حكيم بن حزام الذي يمكن تلخيصه إلى نقاط، وهي كالآتي:

١ـ أن (أسلم يوم الفتح وشهد مع رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم حنيناً مسلماً)[١].

أقول: إلا أنه لم يحض بمنقبة بل حضوره في حنين كشف عن حقيقة إيمانه فقد أعطاه رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم من غنائم حنين وعدّه من المؤلفة قلوبهم فضلاً عن جشعه وطمعه فيما أعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك حسبما دلت عليه رواية الزهري عن سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، قالا: حدثنا حكيم بن حزام، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم بحنين مائة من الإبل فأعطانيها، ثم سألته مائة فأعطانيها، ثم قال له رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم:

«يا حكيم بن حزام إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه سخاوة نفس بورك له فيها، ومن أخذه بإشراف نفس ثم لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول»[٢].

والحديث كاشف عن جشع حكيم بن حزام وحرصه على جمع المال؛ لذا استقل عطاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فزاده رسول الله صلى الله عليه

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: مج٩، ج١٧، ص٦٩.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر: مج٩، ج١٧، ص٧٩، ط دار إحياء التراث العربي.

وآله وسلم كي يألف الإسلام.

٢ ـ سجل له ابن عساكر موقفاً آخر بعد إسلامه وهو سؤاله من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن بعض الأمور، منها:

أ. عن أمرٍ يتعلق بالبيع فقال، قلت: يا رسول الله الرجل يسألني البيع وليس عندي ـ ما ـ أبايعه؟

قال:

«لا تبع ما ليس عندك»[1].

ب. له سؤال آخر سأل فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً: ما يُدخل الجنة؟

قال صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم:

«لا تسأل أحداً شيئاً»[2].

ج. سأل أيضاً: قلت يا رسول الله إني اعتقت في الجاهلية مائة رقبة، وحملت على مائة بعير تحنثت بها واعتقت في الإسلام مائة رقبة، وحملت على مائة بعير فهل ترى ليس في ذلك أجراً يا رسول الله ـ يعني ما فعل ذلك في الجاهلية وفي الإسلام ـ؟

فقال صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم:

«أسلمت على ما مضى لك»[3].

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر: مج٩، ج١٧، ص٧٧.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر: مج٩، ج١٧، ص٨٠.

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر: مج٩، ج١٧، ص٨٢.

وفي رواية:

«**أسلمت على صالح ما سلف**»[١].

أقول: وأبدأ من هذا الحديث فهو لا يصح؛ فمتى أسلم حكيم بن حزام كي يستطيع أن يعتق مائة رقبة، وأن يحمل على مائة بعير فمتى حملها وهو لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا غزوة واحدة وهي غزوة حنين وقد أغار بفرسين فأصيبتا فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أصيبت فرساي فأعطاه مائة بعير بدل الفرسين إلا أن حكيم بن حزام لم يرض بهذه المائة عوض الفرسين فطلب زيادة فزاده النبي صلى الله عليه وآله وسلم مائة أخرى ليكون الفرس الواحد عوضه مائة بعير من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومع ذلك لم يرض جشعه وطمعه فزاده النبي صلى الله عليه وآله وسلم مائة ثالثة ولم يقنع فرد عليه صلى الله عليه وآله وسلم:

«**يا حكيم بن حزام إن هذا المال خضرة حلوة...**»[٢].

إلى آخر قوله صلى الله عليه وآله وسلم المذكور آنفاً.

بل الحقيقة: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي كان يبذل له المال كي يألف الإسلام لا العكس، فهؤلاء قوم لا يرون غير المال ولو لم يفتح الله تعالى لنبيه مكة لما آمن أبو سفيان أو حكيم بن حزام أو غيرهما من الطلقاء وأبنائهم.

ولذلك لم تتعدَّ هذه الأسئلة نطاق المال وما يحيط به، فسؤاله الأول كان عن

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر: مج٩، ج١٧، ص٨١.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر: مج٩، ج١٧، ص٧٩.

البيع والثاني كان عن الدخول للجنة فكان جواب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكشف عن مغزى سؤال حكيم وماذا يقصد وأي شيء يريد من الجنة فقال صلى الله عليه وآله وسلم: لا تسأل أحداً شيئاً أي الكفاف وليس الجشع، والسؤال الثالث: كان عن المال في العتق والحمل على الأباعر والذي لا صحة له كما أسلفنا.

٣ـ أما ما يتعلق بقبل إسلامه فهو كالآتي:

أ: فقد روى ابن عساكر عن عراك بن مالك أن حكيم بن حزام قال: كان محمد النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أحب رجل من الناس إليّ في الجاهلية، فلما نُبئ وخرج إلى المدينة شهد حكيم الموسم وهو كافر، فوجد حلّة لذي يزن تباع فاشتراها ليهديها إلى الرسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فقدم بها عليه إلى المدينة فأراده على قبضها هدية فأبى وقال:

«أنا لا أقبل من المشركين شيئاً ولكن إن شئت أخذتها منك بالثمن».

ـ قال ـ حزام: وأعطيته إياها حين أبى عليّ الهدية فلبسها فرأيتها عليه على المنبر، فلم أر شيئاً أحسن منه فيها يومئذ، ثم أعطاها أسامة بن زيد فرآها حكيم على أسامة فقال:

أيا أسامة أنت تلبس حلّة ذي يزن؟

قال: نعم، والله، لأنا خير من ذي يزن، ولأبي خير من أبيه؛ قال حكيم: فانطلقت إلى مكة أعجبهم بقول أسامة)[١].

---

(١) تاريخ ابن عساكر: مج٩، ج١٧، ص٧٣.

أقول:

والحديث لا يصح فلو كان حكيم بن حزام يحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كل هذا لحب، فلماذا تأخر إسلامه إلى عام الفتح، ولماذا يستخدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المال كي يميل قلبه إلى الإسلام، فنحن لا نصدق بقول حكيم بن حزام وادعائه، ونؤمن بفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكاشف عن عدم حب حكيم بن حزام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذلك:

إذا كان حبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجرد ضرب من الوهم فكيف بشرائه حلة لذي يزن، وأين النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حلل المشركين والملوك كي يلبس حللهم ثم يرتقي المنبر إنه من خيال حكيم بن حزام وإعجابه بحلل الملوك وليس من فعل الأنبياء عليهم السلام؛ فضلاً عن ذلك فقد قيل إن حكيم بن حزام قدم بالحلة في هدنة الحديبية وهو يريد الشام في غير فأرسل بحلة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأبى رسول الله أن يقبلها وقال:

«**إني لا أقبل هدية مشرك**».

قال حكيم فجزعت جزعاً شديداً حين زهد هديتي فبعتها بسوق النبط من أول سائم سامني ودس رسول الله زيد بن حارثة فاشتراها فرأيت رسول الله يلبسها بعد[1].

---

(١) تاريخ ابن عساكر: مج٩، ج١٧، ص٧٤.

لا شك أن حكيم بن حزام هائم بالمال وقد أعماه عن معرفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فراح يلفق تلك الأكاذيب التي نشأت من جزعه الشديد حينما زهد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بهديته التي كان يرى فيها العزة والملوكية فراح يقدمها لملك آخر وليس لنبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما تبين له أن هذه المحاولة فاشلة وأن رسول الله لا يغرر به في صلح الحديبية راح يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويوهم الناس بأنه غير زاهد في حلة ذي يزن لذا دس ـ والعياذ بالله ـ زيد بن حارثة في سوق النبط يبتع حلة ذي يزن لكي يشتريها له فيذهب عندها جزع حكيم بن حزام الشديد على هديته ولو على حساب المساس بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ب: وروى ابن عساكر عن حكيم بن حزام فقال: كنت أعالج البزّ[١] في الجاهلية فكنت رجلاً تاجراً أخرج إلى اليمن وإلى الشام في الرحلتين فكنت أربح أرباحاً كثيراً، وأعود على فقراء قومي ونحن لا نعد شيئا نريد بذلك شراء الأحوال والمحبة في العشيرة.

وكنت أحضر الأسواق وكانت لنا ثلاثة أسواق: سوق بعكاظ يقوم صبح هلال ذي القعدة فيقوم عشرين يوماً ويحضره العرب، وابتعت زيد بن حارثة لعمتي خديجة بنت خويلد، فأخذته بستمائة درهم فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سألها زيداً فوهبته له، فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٢].

(١) أي: تجارة القماش.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر: مج٩، ج١٧، ص٧٤.

ج : إرساله الطعام إلى شعب أبي طالب عليه السلام

فعن إبراهيم بن حمزة (أن مشركي قريش لما حصروا بني هاشم في الشعب كان حكيم بن حزام تأتيه العير يحمل عليها الحنطة من الشام فيقبلها الشعب ثم يضرب إعجازها فتدخل عليهم، فيأخذون ما عليها من الحنطة)[١].

والرواية أظهرت جانباً وأخفت جانباً آخر، فأما الذي أظهرته الرواية فهو كيفية إدخال حكيم بن حزام لتجارته إلى الشعب لكنها لم تظهر أكان متبرعاً بهذا الطعام أم أنه تاجر جشع ظالم استغل هؤلاء المساكين فأخذ يبتزهم مقابل حصوله على المال الذي كان عند عمته خديجة صلوات الله وسلامه عليها حتى نفذ جميع مالها.

نعم لقد كان هذا الرجل من أكثر التجار احتكاراً للطعام ولا هم له سوى الدينار والدرهم ولعل استزادته العطاء من رسل الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين لخير دليل على جشعه وطمعه.

فضلاً عن ذلك فقد أخرج الشيخ مرتضى الأنصاري رضوان الله تعالى عليه في احتكار الطعام، عن صحيحة سالم الحناط عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال:

«وكان ـ حكيم بن حزام ـ إذا دخل الطعام المدينة اشتراه كله، فمر عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له:

يا حكيم بن حزام إياك أن تحتكر»[٢].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) كتاب المكاسب للشيخ مرتضى الأنصاري: ج٤، ص٣٦٥.

فإذا كان حكيم بن حزام في المدينة يحتكر الطعام كله وهو مسلم فكيف حاله حينما كان في مكة وهو مشرك، والظاهر أن الأمر سيان فقد اعتاد على هذا العمل من الاحتكار سواء أكان مشركاً أم مسلماً ولا شأن له بغير المال والربح.

إذن:

لم تكن حياة حكيم بن حزام تزخر بالمناقب كما عنون لذلك بعض مصنفي المسلمين كالحاكم النيسابوري[١]، أو النووي[٢] ـ وغيرهما ـ، لذا: يكون مولده في الكعبة المشرفة (وانحصار هذا الأمر فيه) كما يقال يدعو إلى البحث والدراسة في إثبات هذا المدعى كما يدعو إلى دراسة المدّة الزمنية التي عاشها حكيم بن حزام وما هو دوره في الأحداث التي أعقبت وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابتداءً من أمر السقيفة وانتهاءً بتولي معاوية بن أبي سفيان الحكم، وذلك أن حكيم بن حزام قد توفي سنة ستين وهو ابن مائة وعشرين سنة[٣]، وقيل قبل هذا التاريخ فقد تأرجحت الأقوال فيما بين عام خمسين وستين للهجرة النبوية.

إذ لعلنا نقف عند هذه المناقب التي حظي بها حكيم بن حزام كما عنون لها الحاكم النيسابوري والنووي وغيرهما، ولعلنا نقف عند السر في تميزه بالولادة في جوف الكعبة؟!

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ج٣، ص٤٨٢.

(٢) المجموع للنووي: ج٢، ص٦٦.

(٣) الإصابة لابن حجر: ج٢، ص٩٨؛ المستدرك على الصحيحين للحاكم: ج٣، ص٤٨٢.

المسألة الثانية: دور حكيم بن حزام في الحياة السياسية خلال نصف قرن

لم يكن يخفى على المتتبع للأحداث التي أعقبت وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ اجتماع الأنصار والمهاجرين في سقيفة بني ساعدة وما تمخض عنها من البيعة لأبي بكر وجلوسه في سدة الحكم ثم يليه بحسب وصيته بالخلافة لصاحبه عمر بن الخطاب وما أعقب من تشكيله لمجلس الشورى لستة من الصحابة أحيد فيها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ضمن سياقات سياسية كشفها رفض الإمام علي عليه السلام من الجلوس للخلافة على أساس البيعة له ضمن شروط وضعها أصحاب المجلس السياسي أن صحة التعبير ترتكز على إلزام الإمام علي عليه السلام بالعمل بسنة الشيخين أبي بكر وعمر فكان الجواب أن رفض عليه السلام هذا الشرط ولتذهب الخلافة حيثما تكون وذلك لخلافها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فجاء عثمان بن عفان ليمضي بما أراده المجلس السياسي الذي شكله عمر بن الخطاب.

ثم لتبدأ مرحلة جديدة ضمن اجتهادات الحاكم الجديد وظهور التيار الأموي والمرواني على الحياة السياسية للمسلمين الذين بدأوا يرون معالم جديدة لدستور جديد ومعطيات فكرية أسست لعقيدة جديدة في الفكر الإسلامي.

فالمال العام أو مال المسلمين بدأ يتحول إلى أموال خاصة بالحاكم وإن كان المسمى بـ(بيت مال المسلمين) لكن هؤلاء المسلمين وبحسب هذه المعايير الجديدة هم بنو أمية خاصة، ومن ثم فالمال مال الحاكم يهبه لمن يشاء ويمنعه عمن يشاء، وهو أمر بدأ في حكم عثمان بنصف ظهوره لينجلي بظهور تام في زمن معاوية حسبما

دلت عليه رواية ابن عساكر عن سعيد بن المسيب، قال: ابن البرصاء الليثي وكان من جلساء مروان بن الحكم ومحدثيه وكان يسمر معه فذكروا عند مروان الفيء.

فقال: مال الله قسمه وضعه عمر بن الخطاب مواضعه.

فقال مروان: المال مال أمير المؤمنين معاوية، يقسمه لمن شاء ويمنعه ممن شاء ما أمضى فيه من شيء فهو مصيب)[1].

ولقد حاول ابن عساكر التستر على فعل عمر بن الخطاب ـ بحسب الرواية ـ حينما غَيَّر سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تقسيم الفيء فقام ابن عساكر فحذف المقطع الأول من الرواية حينما أوردها في ترجمة حكيم بن حزام فقال: (مال لله قسمه، فوضعه عمر بن الخطاب مواضعه)، ثم يبدو أنه استدرك ذلك فأورد الرواية بشكلها الكامل من دون حذف وتعتيم وذلك في ترجمته لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أو لعل ابن عساكر قد نسي أنه حذف من الرواية ما يتعلق بعمر بن الخطاب فأوردا هنا كاملة.

فقال: (كان ابن البرصاء الليثي من جلساء مروان بن الحكم ومحدثيه، فكان يسمر معه فذكروا عند مروان الفيء فقالوا مال الله وقد سن رسول الله (صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم) قسمه، ووضعه عمر بن الخطاب مواضعه فقال مروان المال مال أمير المؤمنين معاوية... الخ)[2].

في حين رواها الحافظ المزي (المتوفى سنة ٧٤٢هـ) في ترجمته لحكيم بن حزام

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٣٨، ص٢٥٠، ط دار الفكر، بيروت.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: مج٩، ج١٧، ص٨٢، ط دار إحياء التراث العربي.

بلفظ آخر:

(كان ابن الرجاء الليثي من جلساء مروان بن الحكم ومحدثيه، وكان يسمر معه فذكروا عند مروان الفيء فقال: مال الله، وقد بين الله قسمه، ووضعه عمر بن الخطاب مواضعه، فقال مروان: المال مال أمير المؤمنين معاوية يقسمه فيمن شاء، ويمنعه ممن شاء، وما أمضى فيه من شيء فهو مصيب فيه[(١)].

فهذا حال مال الله في زمن عمر بن الخطاب وعثمان ومعاوية فما بالك حينما كان مروان هو الحاكم ومن بعده بنوه الجبابرة الأربعة كما سماهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبيهم فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«أبو الجبابرة الأربعة»[(٢)].

فكيف يكون حال مال الله، بل كيف يكون حال عباد الله؟

سؤال سبقته الإجابة ومن لسان سيد الخلق أجمعين صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً:

«إذا بلغت بنو أمية أربعين اتخذوا عباد الله خولاً وما الله نحلا وكتاب الله دغلا»[(٣)].

والرواية للحاكم النيسابوري.

وفي لفظ آخر أخرجه أحمد ولم يصرح ببني أمية فقال عنه صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(١) تهذيب الكمال للمزي: ج٧، ص١٧٩.

(٢) المعجم الكبير للطبراني، عن ابن عباس: ج١٢، ص١٨٣.

(٣) المستدرك للحاكم: ج٤، ص٤٧٩؛ مسند الشاميين للطبراني: ج٢، ص٣٣٩.

«إذا بلغ بنو أبي فلان ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً، ودين الله دخلاً، وعباد الله خولاً»[١].

وقد أخرجه الطبراني، بلفظ:

«إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين اتخذوا دين الله دخلاً، وعباد الله خولاً، ومال الله دولا»[٢].

إذن:

بدأ المشهد السياسي للأمة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد تدخلت فيه الأموال والحكام والأفكار والاجتهادات لينتهي الأمر وبحسب هذه المعطيات الجديدة بالانقلاب على الحاكم الأموي الأول عثمان بن عفان ومحاصرته في داره وقتله على يد الصحابة كمحمد بن أبي بكر وطلحة بن عبيد الله وغيرهما.

إنّه مشهد يحتار فيه المراقب أو القارئ فضلاً عن الباحث، فكل واحد من هؤلاء قد قرأ الحدث بحسب معطياته الفكرية والثقافية ليخرج بنتائج عدة، منها ما اتخذ مفهوم الاجتهاد فهؤلاء الذين حاصروا عثمان بن عفان كانوا قد اجتهدوا فقتلوا الخليفة وذلك تبعاً لمنهج الاجتهادات التي قام عليها النظام السياسي العقائدي الجديد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأبي بكر له اجتهاداته وعمر له اجتهاداته وخالد بن الوليد الذي قتل مالك بن النويرة وبات مع زوجته في الليلة نفسها معرساً كان قد اجتهد، فضلا عن اجتهادات عثمان بن عفان وغيره.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج٣، ص٨٠؛ مسند أبي يعلى الموصلي: ج٢، ص٣٨٤.

(٢) المعجم الأوسط للطبراني: ج٨، ص٧؛ المعجم الصغير: ج٢، ص١٣٥.

لذا: كان قتل الخليفة هو ثمرة هذا النهج الجديد في الأمة، نهج الاجتهاد فمن أخطأ فله أجر واحد ومن أصاب فله أجران.

ومنها، أي القراءات لهذا الحدث ما خرجت بمفهوم الفتنة؛ بل إن البعض من الصحابة لا يعلم أكان قتل عثمان صواباً أم خطأً كما دلت عليه رواية ابن أبي شيبة عن حذيفة بن اليمان أنه قال حين قتل عثمان:

(اللهم إن كانت العرب قد أصابت بقتلها عثمان خيراً، أو رشاداً، أو رضواناً، فإني بريء منه، وليس لي فيه نصيب، وإن كانت العرب أخطأت بقتلها عثمان فقد علمت براءتي، قال: اعتبروا قولي ما أقول لكم، والله إن كانت العرب أصابت بقتلها عثمان لتحتلبن به لبنا، ولأن كانت العرب أخطأت بقتلها عثمان لتحسبن به دماً)[١].

في خضم هذه التجاذبات يبرز دور لحكيم بن حزام يتفرد به من بين أولئك العرب الذين كان يحدثهم حذيفة ولعل عنونة الحاكم النيسابوري ترجمته لحكيم بن حزام بـ(مناقب حكيم بن حزام القرشي) لا تتعدى كونها تلك الوقفة التي وقفها في هذه الأحداث العصيبة ليتحول الأمر فيما بعد عند أقطاب الصراع السياسي إلى مجموعة مناقب حظي بها هذا الرجل فكان من بينها ـ بحسب ما قالوا ـ: (ومن مناقبه أنه ولد في الكعبة)[٢].

ونحن قبل أن نذهب إلى التحقيق في ولادة حكيم بن حزام في الكعبة نعرّج بالقارئ الكريم إلى (مناقب) حكيم بن حزام في خضم هذه الفتنة، أو الاجتهاد،

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة الكوفي: ج٨، ص٧٠١.

(٢) المجموع للحافظ النووي: ج٢، ص٦٦.

أو الصراع السياسي، أو الانقلاب، أو غير ذلك من المفاهيم التي تختلف بحسب القراءة للحدث.

أولاً: دوره في مقتل عثمان بن عفان

كي يتضح دور حكيم بن حزام في مقتل عثمان بن عفان ليرقى إلى منزلة (المنقبة) فلابد من الإشارة إلى الكيفية التي قتل فيها عثمان ولو على سبيل الاستشهاد وليس الاستطراد والإسهاب.

ولذلك:

فقد حوصر عثمان في داره من قبل مجاميع أربعة الأولى من المدينة وفيها كثير من الصحابة وأبنائهم وعلى رأسهم طلحة بن عبيد الله فقد كان أشد المحرضين على قتله ــ كما سيمر لاحقاً ــ والمجموعة الثانية من الكوفيين، والثالثة من البصريين، والرابعة من المصريين، وذلك حسبما صرحت به النصوص التاريخية[١].

والذي يهمنا في البحث هو الترابط فيما قام به طلحة بن عبيد الله في حادثة الدار، أي: الدخول إلى عثمان في داره وقتله مع اثنين من غلمانه وبين دور حكيم بن حزام الذي عدّ من مناقبه، فكان كالآتي:

أ: الترابط بين دور طلحة بن عبيد الله في قتل عثمان وظهور منقبة حكيم بن حزام

إن من الغرائب التي أحيطت بشخصية طلحة بن عبيد الله هي تحريضه الشديد على عثمان بن عفان فلما قتل خرج يطالب بدمه.

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٣، ص٦٦ ــ ٧٨؛ تاريخ المدينة لابن شبه: ج٣، ص١١٣٥ ـ ١١٤٧؛ تاريخ الطبري من أحداث سنة ٣٤ إلى ٣٥: ج٣، ص٣٧٠ ـ ٤٤١.

وهذه الغرائبية[1] في شخصية طلحة نصَّت عليها كثير من النصوص الروائية والتاريخية وهي مع ذاك تكشف عن حقيقة الصراع بين الصحابة وانعكاسات ذلك على العقيدة والفكر الإسلامي بنحو عام حتى أصبحت المفردات في هذا الفكر لها دلالات ومعان تختلف مصاديقها عما جاء به القرآن والسنة النبوية ومنها (المنقبة) فما هي بمنقبة هنا لا تكون بالضرورة كذلك في محل آخر.

١ـ إنّ أوضح بيان يكشف عن تلك الغرائبية في شخصية طلحة بن عبيد الله هو ما روي عن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه حيث قال:

«قد كنت وما أهدد بالحرب، ولا أرهب بالضرب، وأنا على ما وعدني ربي من النصر، والله ما استعجل متجرداً للطلب بدم عثمان إلا خوفاً من أن يطالب بدمه، لأنه مظنته، ولم يكن في القوم أحرص عليه منه، فأراد أن يغالط بما أجلب فيه ليلتبس الأمر ويقع الشك.

ووالله ما صنع في أمر عثمان واحدة من ثلاث:

لأن كان ابن عفان ظالماً ـ كما كان يزعم ـ لقد كان ينبغي له أن يوازر قاتليه، وأن ينابذ ناصريه.

ولأن كان مظلوماً، لقد كان ينبغي له أن يكون من المنهنهين عنه، المعزرين فيه.

ولأن كان في شك من الخصلتين، لقد كان ينبغي له أن يعتزله، ويركد جانباً، ويدع الناس معه.

---

(١) الانترنت: معنى مصطلح الغرائبية في الأدب: الغرائبية هي جزء أساسي في دلالات الواقعية السحرية كما شاعت في الأدب..

فما فعل واحدة من الثلاث، وجاء بأمر لم يعرف بابه، ولم تسلم معاذيره»[١].

٢ـ روى الطبري في تاريخه عن حكيم بن جابر قال: قال علي عليه السلام لطلحة وعثمان محصور:

«أنشدك الله إلا رددت الناس عن عثمان».

قال: لا والله حتى تعطي بنو أمية الحق من نفسها[٢].

٣ـ وروى الطبري عن بشر بن سعيد قال: حدثني عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة قال: (دخلت على عثمان فتحدثت عنه ساعة فقال: يا ابن عباس! تعال فأخذ بيدي فأسمعني كلام من على باب عثمان فسمعنا كلاماً: منهم من يقول ما تنتظرون به؟ ومنهم من يقول: أنظروا عسى أن يراجع، فبينا أنا وهو واقفان إذ مر طلحة بن عبيد الله فوقف فقال: أين ابن عديس؟

فقيل: ها هو ذا، قال: فجاء ابن عديس فناجاه بشيء ثم رجع ابن عديس فقال لأصحابه: لا تتركوا أحداً يدخل على هذا الرجل أو يخرج من عنده، قال: فقال لي عثمان: هذا ما أمر به طلحة بن عبيد الله ثم قال عثمان: اللهم اكفني طلحة بن عبيد الله فإنه حمل علي هؤلاء وألّبهم، والله إني لأرجو أن يكون منها صفرا، وأن يسفك دمه، إنه انتهك مني ما لا يحل له، سمعت رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم يقول:

«لا يحل دم امرئ مسلم إلا في إحدى ثلاث، رجل كفر بعد إسلامه فيقتل، أو رجل زنى بعد إحصانه فيرجم أو رجل قتل نفسا بغير نفس».

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج١٠، ص٣.

(٢) تاريخ الطبري: ج٣، ص٤٣٣.

ففيم أقتل؟ ثم رجع عثمان، قال ابن عباس: فأردت أن أرجع فمنعوني حتى مرّ بي محمد بن أبي بكر فقال خلوه؛ فخلوني)[١].

٤ـ وروى ابن أبي الحديد المعتزلي: (كان طلحة من أشد الناس تحريضاً عليه، وكان الزبير دونه في ذلك)[٢].

٥ـ وروي: (أن عثمان قال: ويلي على ابن الحضرمية ـ يعني طلحة ـ أعطيته كذا وكذا بهار أذهبا وهو يروم دمي يحرض على نفسي، اللهم لا تمتعه به ولقه عواقب بغيه)[٣].

٦ـ وروى: (إن طلحة كان يوم قتل عثمان مقنعاً بثوب قد استتر به عن أعين الناس يرمي الدار بالسهام)[٤].

٧ـ وروي: (إنه لما امتنع على الذين حصروه الدخول من الباب حملهم طلحة إلى دار لبعض الأنصار فأصعدهم إلى سطحها وتسوروا منها على عثمان داره فقتلوه)[٥].

٨ ـ وكان الزبير يقول: (اقتلوه فقد بدل دينكم!! فقالوا: إن ابنك يحامي عنه بالباب! فقال: ما أكره أن يقتل عثمان ولو بدئ بابني، أن عثمان لجيفة على الصراط غداً)[٦].

---

(١) تاريخ الطبري: ج٣، ص٤١٢.

(٢) شرح النهج للمعتزلي: ج٩، ص٣٥.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج٩، ص٣٦.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

٩ـ وروى الطبري عن سعيد بن الرحمن بن أبزي عن أبيه قال: رأيت اليوم الذي دخل فيه على عثمان، فدخلوا من دار عمرو بن حزم خوضة هناك حتى دخلوا الدار فناوشوهم شيئاً من مناوشة ودخلوا فو الله ما نسينا أن خرج سودان بن حمران فأسمعه يقول: أين طلحة بن عبيد الله قد قتلنا ابن عفان[١].

والنصوص في ذلك لكثيرة فمن أراد التوسع فعليه الرجوع إلى المصادر التاريخية والحديثية، والذي نحن بصدده بيان فعل طلحة بن عبيد الله في كونه أشد المحرضين على واقعة الدار التي قتل فيها عثمان بن عفان وما تبعها من أحداث تتعلق بهذه الواقعة التي تجلى فيها دور حكيم بن حزام فكان كالآتي:

ب: تجلي منقبة حكيم بن حزام في دفن عثمان بن عفان

بعد أن قُتل عثمان بن عفان في داره وقُتل معه اثنان من غلمانه أخرج من داره (وألقي على المزبلة ثلاثة أيام)[٢]، وقد منعت الأنصار والمهاجرين من دفنه وتُرك الغلامان اللذان قتلا معه في الدار، فجاءت أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ووقفت بباب المسجد وخاطبت الصحابة فقالت:

(لتخلن بيني وبين دفن هذا الرجل أو لأكشفن ستر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فخلوها)[٣].

---

(١) تاريخ الطبري: ج٣، ص٤١٢.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر: ج٣، ص١٠٤٧.

(٣) تاريخ المدينة لابن شبة: ج١، ص١١٢.

والذي دفعها لهذا الخروج هو القرابة فعثمان من بني عمها ، أما بقية أمهات المؤمنين فلم يذكر التاريخ لهن شيء في ذلك.

فعند ذلك جاء (حكيم بن حزام) أحد بني أسد بن عبد العزى ، وجبير بن مطعم بن الحارث بن نوفل استنجدا بعلي عليه السلام على دفنه.

فأقعد طلحة ـ بن عبيد الله ـ لهم في الطريق ناساً بالحجارة[١].

وكانوا قد حملوه على باب ـ وقد أسرعوا في السير به ـ وأن رأسه تقول على الباب طق طق ، حتى أتوا البقيع فاختلفوا في الصلاة عليه فصلى عليه حكيم بن حزام أو حويطب بن عبد العزى.

ثم أرادا دفنه فقام رجل من بني مازن فقال لأن دفنتموه مع المساكين لأخبرن الناس غداً فحملوه حتى أتوا به حش كوكب[٢].

وهي مقبرة بجنب البقيع كانت اليهود تدفن فيه موتاهم ، فلما صار هناك رجم سريره ـ بالحجارة ـ وهموا بطرحه ، فأرسل علي عليه السلام إلى الناس يعزم عليهم ليكفوا عنه ، فكفوا ، فانطلقوا به حتى دفنوه في حش كوكب[٣].

ولم يلحدوه بلبن وحثوا عليه التراب حثواً[٤].

ولما دفنوه غيبوا قبره[٥] ، خوفاً من أن ينبش.

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر: ج٣، ص١٠٤٧.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي : ج٩ ، ص٩٦ ؛ المعجم الكبير للطبراني : ج١ ، ص٧٩.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر: ج٣، ص١٠٤٧.

(٤) الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري : ج١ ، ص٤٦.

(٥) الاستيعاب : ج٣، ص١٠٤٧ ؛ تهذيب الكمال للمزي : ج١٩ ، ص٤٥٨.

(ثم رجعوا فأتوا كنانة بن بشر، فقالوا: إنك أمس القوم بنا رحماً، فأمر بهاتين الجيفتين اللتين في الدار أن تخرجا، فكلمهم في ذلك، فأبوا.

فقال: أنا جار لآل عثمان من أهل مصر ومن لف لفهم، فأخرجوهما فأرموا بها، فجروا بأرجلهما، فرمي بهما على البلاط، فأكلتها الكلاب.

وكان العبدان اللذان قتلا يوم الدار يقال بهما نجيح وصبيح؛ ولم يغسل عثمان وكفن في ثيابه ودمائه ولا غسل غلاماه)[1].

إذن:

كان حكيم بن حزام هو من بادر مع ثلاثة من المسلمين لدفن عثمان بن عفان بعد أن بقى ثلاثة أيام ملقى على المزبلة، وحكيم بن حزام هو الذي حمله، وصلى عليه ودفنه، وأن طلحة بن عبيد الله هو الذي منع من دفنه وكان معه كثير من الصحابة كالزبير بن العوام، ومحمد بن أبي بكر وقد التف من حولهم أهل مصر والكوفة والبصرة والمدينة، فضلاً عن ذلك فقد دلت النصوص على أن طلحة أقعد ناساً يتربصون ببدن عثمان وهو ملقى على المزبلة كي لا يقدم أحد على دفنه فلما جاء حكيم بن حزام ومن معه رموهم بالحجارة؛ كما أمر طلحة بن عبيد الله.

من هنا: نجد أن هناك ترابطاً فيما بين دور طلحة بن عبيد الله وحكيم بن حزام.

---

(١) الفتنة ووقعة الجمل لسيف بن عمر الضبي: ص٨٤؛ تاريخ الطبري: ج٣، ص٤٤١؛ البداية والنهاية لابن كثير: ج٧، ص٢١٤؛ تاريخ دمشق: ج٣٩، ص٥٢٦.

فلولا منع طلحة من دفن عثمان لما استبسل حكيم بن حزام في دفنه ؛ وهذا الفعل لم يكن بنو أمية بتاركيه من دون أن يعودوا على حكيم بن حزام بعوائد ترقى به إلى مصاف أصحاب الفضائل والمناقب والسيادة.

وكيف لا يكون ذلك وقد هم الوليد بن عبد الملك أن ينبش قبر أبي بكر وعمر ويخرجهما من حجرة عائشة ويلقيهما في حش كوكب أو في غيره وذلك لأن ابن عمه عثمان بن عفان دفن في مقابر اليهود وهما في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما دلت على ذلك رواية ابن شبة النميري عن عمر بن عبد العزيز قال :

(أتكأ الوليد على يدي حين قدم المدينة ، فجعل يطوف المسجد ينظر إلى بنائه ، ثم إلى بيت النبي صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فوقف عليه ، ثم أقبل علي فقال : أمعه أبو بكر وعمر؟

قلت : نعم.

قال : فأين أمير المؤمنين عثمان؟

قال : فوالله يعلم أني لظننت أنه لا يبرح حتى يخرجهما.

فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن الناس كانوا حين قتل عثمان في فتنة وشغل ، فذاك الذي منعهم من أن يدفنوه معه ، فسكت)[1].

فإذا كان حال أبي بكر وعمر عند الوليد بن عبد الملك هكذا فكيف حال حكيم بن حزام الذي تول إخراج جثمان عثمان بن عفان من داره وحمله والصلاة

---

(١) تاريخ المدينة لابن شبة : ج١ ، ص١١٢.

عليه ودفنه، ثم كيف لا يكون له من المناقب، ما تجعله ينفرد بالولادة في الكعبة ـ سيمر لاحقاً ـ؟

وأما طلحة بن عبيد الله فلم يمر عليه من الوقت كثيراً فقد قتله مروان بن الحكم غدراً بعد أن خرج معه حينما خرج هو والزبير بن العوام للمطالبة بدم عثمان بن عفان حينما ذهبت الخلافة منه إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ولم يبايعه الناس وهو قائد الانقلاب على الخليفة والباسل المغوار في تحريض الناس على قتله.

فكيف تذهب جهوده سداً ولم يحظَ بالخلافة، ولم ينل من علي بن أبي طالب عليه السلام لا دنيا ولا آخرة، أنه موقف الخاسر الذي وجد نفسه قد أضاع الطريقين.

ولذلك: قال يوم الجمل:

ندمت ندامة الكسعي لما　　　شريت رضا جرم برغمي

اللهم خذ مني لعثمان حتى يرضى[1]، كلمة هو قائلها لما أتاه سهم مروان بن الحكم فوقع على عين ركبته، فكانوا إذا أمسكوها انتفضت وإذا أرسلوها انبعثت، فقال: دعوها فإنها سهم أرسله الله[2].

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر: ج٢، ص٧٦٦؛ وقال: (ولا يختلف العلماء الثقات في أن مروان قتل طلحة يومئذ)؛ الفائق في غريب الحديث للزمخشري: ج٣، ص١٥٦؛ تاريخ خليفة بن خياط: ص١٣٩.

(٢) الإصابة لابن حجر: ج٣، ص٤٣٢؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج٢٥، ص١١٤؛ تاريخ خليفة بن خياط: ص١٤٠.

هكذا يرى طلحة سهم مروان بن الحكم ؛ في حين كان يراها مروان برؤية مختلفة دلت عليها كلماته التي نطق بها بعد أن أصاب طلحة فقال :

لا أطلب بثأري بعد اليوم[١] ؛ ثم التفت إلى آبان بن عثمان بن عفان فقال : قد كفيناك بعض قتلة أبيك[٢].

ثانياً: دور حكيم بن حزام في معركة الجمل

لم يظهر حكيم بن حزام في معركة الجمل بالظهور نفسه الذي شهده مقتل عثمان بن عفان إذ لم يكن مع طلحة والزبير وعائشة الذين خرجوا يطالبون بدم عثمان بن عفان من الأمة.

وفي الوقت نفسه لم يكن هكذا مع الإمام علي عليه السلام على الرغم من مبايعته له كما بايعه طلحة والزبير ومن انظم تحت لوائهم.

لكن عدم مناصرته للإمام علي عليه السلام وشكه في حرب علي للناكثين يعد منقبة عند مبغضي علي عليه السلام وأعدائه لاسيما وأن أعداء الإمام علي (عليه السلام) يروون أن (عبد الله بن حكيم بن حزام) كان يقاتل معهم في حربهم لعلي عليه السلام وأنه سقط قتيلاً في معركة الجمل.

وهي حقيقة دلت عليها كلمات الإمام علي عليه السلام حينما مر على القتلى بعد انتهاء المعركة فوقف عند عبد الله بن حكيم بن حزام فقال :

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر: ج٥، ص٢٠ ؛ المستدرك للحاكم: ج٣، ص٣٧٠ ؛ المصنف لابن أبي شيبة: ج٧، ص٢٥٦ ؛ أنساب الأشراف: ص٢٤٧.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر: ج٢، ص٧٦٨ ؛ تاريخ الإسلام للذهبي: ج٣، ص٤٨٧ ؛ سير أعلام النبلاء: ج١، ص٣٦ ؛ تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٢٥، ص١١٣.

«هذا خالف أباه في الخروج، وأبوه حيث لم ينصرنا قد أحسن في بيعته لنا، وإن قد كف وجلس حيث شك في القتال، وما ألوم من كف عنا وعن غيرنا ولكن المليم الذي يقاتلنا»[(١)].

أقول: حينما يصل الأمر بين الصحابة والتابعين إلى أن يقف الأبناء في وجه الآباء فيخالفونهم في المعتقد كعبد الله بن الزبير الذي وقف يدافع عن عثمان بن عفان ووالده الزبير لا يبالي أنْ يبدأ المنتفضون على الخليفة بقتل ولده إنْ تطلّب تحقيق هدف قتل عثمان هذه التضحية.

وإنْ يخالف عبد الله بن حكيم بن حزام والده فيخرج لحرب الإمام علي عليه السلام وقتاله فيقتل في المعركة ـ مع علمهم بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام:

«لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق».

وقد أصبح هذا الحديث من البديهيات التي تأسس عليها الإسلام ومع هذا وغيره يكون الحال بهذه الكيفية من الاختلاف في العقيدة والدين في البيت الواحد وفي الأسرة الواحدة، فكيف بمن كانوا قد تداخلت فيما بينهم النزعة القومية ومآثر الآباء ونار الثأر لبني العشيرة كقتل مروان بن الحكم طلحة بن عبيد الله وهو يقاتل إلى جنبه في حربهما لأمير المؤمنين عليه السلام.

إنه سؤال لن تجد عند أحد من الصحابة وأبنائهم ومن تبعهم على ذلك الإجابة الصحيحة عليه ولاسيما إن القراءات للحدث مختلفة والمعطيات الفكرية

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد رحمه الله: ج١، ص٢٥٦؛ الجمل لابن شدقم المدني: ص١٥٥؛ البحار: ج٣٢، ص٢٠٨.

التي كونت الثقافات متغايرة، فكل يرى رؤيته ويعطي حكمه ويذهب إلى معتقده ولا تجد بين هذا وذاك سوى تلك الكلمات التي خرجت من فم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) حينما مر بطلحة بن عبيد الله قتيلاً في معركة الجمل وسهم مروان بن الحكم متجذر في عين ركبته فقال عليه السلام:

«اجلسوا طلحة».

فاجلس. فخاطبه قائلاً:

«يا طلحة بن عبيد الله، قد وجدتُ ما وعدني ربي حقاً، فهل وجدت ما وعدك ربك حقا!؟».

ثم قال:

«اضجعوا طلحة».

وسار[1].

إذن: بدت الحياة السياسية والعقائدية عند الصحابة خلال نصف قرن مختلفة التجاذبات والرؤى والاجتهاد والمعتقدات بدءً من دلالة الألفاظ كـ(المنقبة) وانتهاءً بالدماء التي أريقت والأنفس التي قتلت؛ فما يعد اجتهاداً، قد يعد كفراً عند قراءة مختلفة، وما يعد منقبة هنا، هو عين المثلبة هناك.

ومنها: الولادة في الكعبة (أعزها الله تعالى) فكيف هي الرؤية لهذه الولادة عند أقطاب الصحابة وأهل الحل والعقل في المجتمع؟

(١) الإرشاد للمفيد رحمه الله: ج١، ص٢٥٧؛ الفصول المختارة للشريف المرتضى: ص١٤١؛ الكافئة للشيخ المفيد: ص٢٦؛ الاحتجاج للطبرسي: ج١، ص٢٣٩؛ معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج١٠، ص١٨٣.



المبحث الثاني

منقبية الولادة في الكعبة

أهي ذاتية أم مكتسبة؟

لا شك أن الولادة في الكعبة لها خصوصية معينة وذلك لأنها بيت الله الحرام، ومحل توجه المسلمين في صلاتهم ودعائهم، وهي مع ذاك لها حرمة أوجبتها الشريعة المقدسة، لكن هذه الخصائص تنطلق في ضوء العقيدة الإسلامية وما جاءت به معطيات شرعية كونت لدى المسلم هذه الثقافة اتجاه الكعبة المشرفة أعزها الله.

فيمكن لها أن تأخذ من نفسه هذه الخصوصية.

لكن ولادة حكيم بن حزام كانت قبل دخوله الإسلام بستين عاماً ومن ثم فهل كانت هذه الولادة لها من الخصوصية والامتياز ما كان لدى المسلم الذي ـ وكما أسلفنا ـ قد تكونت لديه رؤية اتجاه الكعبة بواسطة الإسلام؟

إنه سؤال يبحث عن الإجابة؟

وجوابه فيما يأتي:

المسألة الأولى: قدسية الكعبة بين تعظيم الشرائع السماوية والمعتقدات العربية قبل الإسلام

لو رجعنا بالقارئ الكريم إلى معنى القداسة في اللغة لوجدنا أن اللغويين قد قالوا في ذلك اللفظ، أي: القُدْس، والقُدُس: الطُهر، اسم ومصدر ومنه قيل للجنة: حظيرة القدس.

وروح القدس: جبرائيل عليه السلام؛ والتقديس التطهير، ونقدس: أي نطهر، والأرض المقدسة: المطهرة والقدوس: اسم من أسماء الله تعالى، وهو فعول من القدس، وهو الطهارة[1].

ودلالة المعنى اللغوي حينما تمتزج مع الدلالة العرفية يخرج معنى جديد: هوالتعظيم والحرمة.

ومنه انطلق المكّيون لترسيخ ذلك في نفوس عامة العرب لأنهم يجدون في ذلك عزتهم ومنعتهم ودوام بقائهم.

وإلا لا معنى للطهر من دون المصاديق الشرعية التي جاءت بها الأنبياء عليهم السلام. ولذلك: نجد هذه الدعوة إنما هي دعوة إلهية، أي: دعوة تطهير الكعبة وذلك حسبما دلت عليه الآية الكريمة في قوله تعالى:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[2].

---

(١) الصحاح للجوهري: ج٣، ص٩٦١.

(٢) سورة الحج، الآية: ٢٦.

أما غير هذا المعنى فقد سرى تعظيم الكعبة لدى جميع الطوائف وفي ذلك يقول العلامة الطباطبائي رفع الله درجاته:

(كانت الهنود يعظمونها ويقولون أن روح سينا، وهو الأقنوم الثالث عندهم حلت في الحجر الأسود، حين زار مع زوجته بلاد الحجاز؛ وكان الصابئة من الفرس يعدون الكعبة أحد البيوت السبعة المعظمة[١].

وربما قيل: إنها بيت زحل لقدم عهد، وطول بقائه.

وكانت الفرس يحترمون الكعبة أيضاً زاعمين أن روح هرمز حلت فيها وربما حجوا إليها زائرين.

وكانت اليهود يعظمونها ويعبدون الله فيها على دين إبراهيم وكان بها صور وتماثيل، منها تمثال إبراهيم وإسماعيل وبأيديهما الأزلام ومنها صورتا العذراء والمسيح، ويشهد ذلك على تعظيم النصارى لأمرها، أيضاً كاليهود وكانت العرب أيضاً تعظمها كل التعظيم وتعدها بيتاً لله تعالى وكانوا يحجون إليها من كل جهة، وهم يعدون البيت بناء لإبراهيم والحج من دينه الباقي بينهم بالتوارث)[٢].

أقول:

لكن ليس كل العرب لديهم هذه الرؤية المرتكزة على أن تعظيم الكعبة ناتج عن كونها بيت الله تعالى الذي بناه إبراهيم الخليل وولده إسماعيل عليهما السلام

(١) البيوت السبعة هي: الكعبة؛ ومارس على رأس جبل بأصفهان؛ وهندوستان ببلاد الهند؛ ونوبهار بمدينة بلخ؛ وبيت غمدان بمدينة صنعاء؛ وكاوسان بمدين فرغانة من خراسان؛ وبيت بأعالي بلاد الصين.

(٢) تفسير الميزان: ج٣، ص٣٦١.

وأن حجهم للبيت هو من دين إبراهيم الباقي بينهم بالتوارث.

بل:

إنّ الروايات التاريخية تنص على أن المعظمين للبيت الحرام والصائنين له هم قلة قليلة من المكيين وهم أهل الحرم فكيف بالأعراب وسكان الصحاري وأهل المدن كالشام واليمن والطائف وغيرها الذين ينظرون بعين الحسد لما تنعم به مكة من حركة اقتصادية تفرضها قوافل القادمين لحج البيت.

الذي لم يبقَ من مناسكه الإبراهيمية إلا القليل.

فلا الطواف طواف إبراهيم ولا السعي بين الصفا والمروة سعي إبراهيم عليه السلام؛ ولا التلبية حول البيت تلبية إبراهيم عليه السلام.

فإما الطواف فقد كانت بعض قبائل العرب تطوف وهم عراة بادية العورة[١]، قد اتخذت من التصفير والتصفيق مناسكا[٢].

وأما السعي بين الصفا والمروة، فقد كانوا يبتدئون بصنم ويختمون بصنم آخر وهما إساف ونائلة.

وأما التلبية: (فقد كانوا يلبون إلا أن بعضهم كان يشرك في تلبيته فكانت قريش وكان نسكهم لإساف تقول: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك).

وكان لكل قبيلة تلبية ــ وإنها تبدأ بتلبيتها من أصنامها ــ فكانت تلبية من

---

(١) كتاب المنمق لابن حبيب: ص١٢٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج١، ص٣١٠.

نسك للعزى : لبيك اللهم لبيك ، لبيك وسعديك ما أحبنا إليك.

وكان تلبية من نسك للات : لبيك اللهم لبيك ، كفر ببيتنا بنية ، ليس بمهجور ولا بلية ، لكنه من تربة زكية ، أربابه من صالح البرية.

وكانت تلبية من نسك لمناة : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لولا أن بكر دونك يبرك الناس ويهجرونك ما زال حج عثج يأتونك أنا على عدوانهم من دونك...)[١].

ولم يقتصر اختلاف معنى التعظيم للكعبة وحرمتها عند القبائل العربية عند هذا المستوى وإنما تعداه إلى أقوام بعض القبائل العربية إلى اتخاذ كعبات أخرى غير كعبة مكة أعزها الله.

فمنها ما كان في الحيرة وقد بناها الغساسنة ، ومنها : ما كان بالشام ، فسمي بالكعبة الشامية ، ومنها ما كان في نجران وهو دير نجران ، وقد بنوه مربعاً مستوى الأضلاع والأقطار مرتفعاً من الأرض ، يصعد إليه بدرجة ، على مثال بناء الكعبة ، فكانوا يحجونه هم وطوائف من العرب ، ممن يحل الأشهر الحرم ، ولا يحجون الكعبة ، وتحجه خثعم قاطبة)[٢].

وفيها يقول الأعشي :

وكعبة نجران حتم عليك　　　حتى تناخي بأبوابها

فضلاً عن قيام أبرهة الحبشي ببناء بيت خاص أراد أن يكون عوضاً عن بيت الله الحرام تحج إليه العرب ، نكاية بهم فلما فشل في ذلك قدم بجيشه الجرار لتهديم

(١) كتاب المحبر لابن حبيب البغدادي : ص٣١١ ـ ٣١٥.

(٢) معجم ما استعجم للبكري الأندلسي : ج٢ ، ص٦٠٤.

البيت الحرام الذي تركه المكيون وهربوا من أبرهة ولم تقف بوجهه سوى تلك الكلمات التي نطق بها عبد المطلب حينما سلب الجيش إبله فجاء يطالب بها قائلاً لهذا الملك المتجبر: (أنا رب الإبل وللبيت رب يحميه).

إذن:

قدسية الكعبة مرتبطة بمن يعتقد بها، وإن تعظيمها متلازم مع إيمان الإنسان بها، وإن حرمتها مرتكزة على مجموعة من المعطيات الفكرية الناشئة من معرفة الإنسان بما لهذا البناء من شأنية شرعية؛ وإلا بخلاف ذلك فلا قدسية لها ولا تعظيم ولا حرمة؛ ومن ثمّ فإنّ ثبوت المنقبية للولادة في الكعبة وانتفاءها متلازمة مع عقيدة الإنسان وإيمانه ومعرفته؛ وهو ما سنتناوله في المسألة الآتية:

المسألة الثانية: عوامل ثبوت المنقبية للولادة في الكعبة وظواهر انتفائها

أولاً: عوامل ثبوت المنقبية للولادة في الكعبة

نحن وإن كنا نركز على هذا المعنى: أي ثبوت المنقبية للولادة في الكعبة إنما لتركيز بعض أعلام أبناء العامة من المسلمين كالحافظ النووي، والحافظ الذهبي، والحاكم النيسابوري وغيرهم في عدهم للولادة في الكعبة منقبة من مناقب حكيم بن حزام؛ ومن ثم فنحن وبما يفرضه علينا منهج البحث عرضنا هذا المكون الفكري والعقائدي على مائدة البحث العلمي لنصل بالقارئ الكريم إلى حقيقة هذا المكون الفكري وآثاره على عقيدة المسلم، فضلاً عن مدى ثبوت حقيقته التاريخية.

لذا: فإن المنقبة بدلالتها الشرعية المرتكزة على الشأنية عند الله تعالى تكون كاشفة عن التقوى حيث يتفاضل في ذلك الخلق ويتفاوت عندها الأنبياء والمرسلين ومن هو دونهم، وهو ما دل عليه قول الله تعالى:

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[1].

وأما بدلالتها اللغوية، فهي: كرم الفعل؛ ومنه يقال: رجل ميمون العريكة والنقيبة والطبيعة، بمعنى واحد[2]، وحينما نأتي إلى أمر الولادة في الكعبة فلا نجد له تطابقاً لا مع الدلالة القرآنية ولا مع الدلالة اللغوية، فلا هو من التقوى ولا هو من كرم الفعل، فغاية ما في الأمر إنه أمر ارتبط بمخاظ المرأة الحامل التي ضربها الطلق في هذه اللحظات.

ولذلك: فلا علاقة لحكيم بن حزام بما حدث لأمه من أمر الولادة وهذا على فرض صحة وقوع الحادثة التي سنناقش رواياتها لاحقاً.

بقي لنا أمر واحد، وهو التصاق المنقبية وثبوتها العرفي مع تعظيم الكعبة وحرمتها، وهذا متلازم مع من يعتقد بحرمة الكعبة وتعظيمها، ومصداق ذلك يمكن ملاحظته في أفعال المكيين ونظرتهم إلى الكعبة أعزها الله.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

(٢) لسان العرب لابن منظور: ج١، ص٧٦٨.

وبناءً على ما تقدم نخلص إلى عوامل ثلاثة لثبوت المنقبية :

١ـ الدلالة الشرعية المرتكزة على الشأنية عند الله تعالى.

٢ـ الدلالة اللغوية المرتكزة على كرم الفعل.

٣ـ الدلالة العرفية المرتكزة على تعظيم الكعبة وحرمتها.

فأما العامل الأول: فأي شأنية لحكيم بن حزام عند الله تعالى وهو من المؤلفة قلوبهم وممن تأخر إسلامه إلى فتح مكة فلم يكن ممن هاجر أو عذب أو جاهد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سوى اشتراكه مع المسلمين في خروجهم إلى غزوة حنين وقد أصيب له فرسان فعوضه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن كل واحد بمئة بعير ولم يقنع بذلك وكان يريد الزيادة ـ وقد ذكرنا ذلك ــ ومن ثم فهذه الشأنية التقوائية منتفية وبانتفائها لا يصح إطلاق المنقبة على ولادته في الكعبة.

وأما العامل الثاني: فلقد استعرضنا ترجمة الرجل من كتب التراجم فلم نجد له سوى الاحتكار للطعام قبل الإسلام وبعده؛ والجشع الذي دفعه للاستزادة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا قطعاً يتعارض مع قولهم أنه أعتق مئة رقبة، وأنفق مئة بعير، فهذا العدد إنما زج به في حياة الرجل لغرض التعتيم على طمعه في مال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة حنين؛ ومن لا يقنع بالعوض عن فرسين بمئتين من الإبل كيف له أن ينفق مئة أو يعتق مئة رقبة وكم احتاج من المال لشراء هؤلاء العبيد ثم عتقهم؟ لا أحد يعلم سوى راوي الرواية.

نعم: لم يسجل له التاريخ من المواقف سوى كونه أحد الأربعة الذين حملوا

بدن عثمان بن عفان من المزبلة فوضعوه على بقايا من خشب أحد الأبواب ليحفر له في مقبرة اليهود (حش كوكب) ويردم عليه التراب ويعفى قبره كي لا ينبش.

وهذا الفعل سنناقشه من حيث المنقبية التي اختلفت دلالتها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فليس لها دلالة قرآنية ولا لغوية ولا عرفية، إنها دلالة سياسية ـ سيمر لاحقاً ـ.

وأما العامل الثالث: وهو الدلالة العرفية المرتكزة على تعظيم الكعبة وحرمتها، فهذا متلازم مع من يعتقد بهذه الحرمة وبهذا التعظيم، فمن كان يرى للكعبة حرمة فإنه يرى أن الولادة في جوف الكعبة قد اكتسبت المنقبية؛ ومن لا يجد لها حرمة فكيف له أن يعد الولادة فيها منقبة، بل ليس لها أدنى شأنية.

ولذلك: احتجنا في الوقوف على هذه الدلالة العرفية من الرجوع إلى المجتمع المكي بنحو خاص والمجتمع الإسلامي بنحو عام.

ثانيا: ظواهر انتفاء حرمة الكعبة وتعظيمها قبل الإسلام وبعده وتعارضها مع منقبية الولادة

الظاهرة الأولى: ظاهرة تحالف القبائل في مكة لحفظ حرمة الكعبة ومناهضته

إن النصوص التاريخية التي تكشف عن انتفاء حرمة الكعبة عند كثير من الرموز المكية والإسلامية لكثيرة جداً، بل أن هذه النصوص تظهر أن هناك طبقتين في المجتمع المكي والعربي قبل الإسلام كانت تتعامل مع الكعبة على ثبوت حرمتها وانتفائها، ومن ثم نشأت هذه الطبقية في المجتمع، فالطبقة الأولى وهم خمس قبائل: (عبد مناف، وأسد بن عبد العزى، وزهرة، والحارث بن فهر، وتيم بن

مرة)، وهم الذين سموا بالمطيبين، وذلك أن عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم قامت فأخذت جفنة عظيمة فملأتها خلوقا ـ أي طيبا ـ ثم أقبلت بها تحملها حتى وضعتها في الحجر فقالت: من تطيب من هذه الجفنة فهو منا، فقامت هذه القبائل فتطيبت بهذا الطيب فسموا بالمطيبين[١].

وتحالفوا على حفظ حرمة الكعبة وأن تكون بأيديهم، ما أقام حراء وثبير وما بل بحر صوفة[٢].

وفيه يقول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم:

«شهدت حلف المطيبين مع عمومتي وأنا غلام فما أحب أن لي حمر النعم وأني أنكثه»[٣].

في مقابل هؤلاء: تكون حلف آخر وهم خمس قبائل أيضاً: (صح، وعبد الدار، وسهم، ومخزوم، وعدي بن كعب)، وهم الذين سموا بلعقة الدم، وذلك أن بنو سهم نحروا جزوراً ثم غمسوا أيديهم في دمها وقالوا: من غمس يديه فيه فهو منا، فغمسوا أيديهم فسموا: الأحلاف[٤]؛ وقيل: سموا بـ(لعقة الدم) وذلك أنّ رجلاً من بني عدي يقال له الأسود بن حارثة لعق لعقة من دم ولعقوا منه فسموا بـ(لعقة الدم)[٥].

---

(١) كتاب المنمق لمحمد بن حبيب البغدادي: ص٥٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٧، ومرادهم من (ما أقام حراء وثبير) وهما جبلان بمكة مثلا.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ج١، ص١٩٠؛ مستدرك الحاكم النيسابوري: ج٢، ص٢٢٠؛ السنن الكبرى للبيهقي: ج٦، ص٣٦٤؛ الأدب المفرد للبخاري: ص١٢٥.

(٤) كتاب المنمق لمحمد بن حبيب البغدادي: ص١٩٠.

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

ويمضي الفريقان في التفاوت في النظر إلى الكعبة وحرمتها وتعظيمها حتى إذا أعادوا بناء الكعبة اختلفوا على رفع الحجر الأسود ووضعه في مكانه وكادوا أن يتقاتلوا فنتج عن ذلك حلف جديد لدى الأحلاف حينما قربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة، فسموا (لعقة الدم)[1]؛ وسموا حلف الإحلاف أيضاً ثم ينتهي المأزق باتفاقهم على تولي رفع الحجر الأسود على أول داخل عليهم فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ والحادثة مفصلة في كتب السيرة ـ.

في المقابل وقبل ظهور حلف الأحلاف أو لعقة الدم أي قبل بنيان الكعبة كانت القبائل التي سميت بلعقة الدم ومن سلك مسلكهم من قريش (تظلم في الحرم الغريب، أي حرم البيت الحرام، ومن لا عشيرة له)[2] كدلالة واضحة على انتفاء حرمة الكعبة عندهم وهو على عكس رؤية المطيبين في تعظيم الكعبة وثبوت حرمتها لديهم ومما يدل على التفاوت بين هذين الطبقتين في تعظيم الكعبة وحرمتها، اجتماعهم لحلف الفضول الذي حضره النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وكان له من العمر عشرين سنة.

(وكان من شأن حلف الفضول: أنه كان حلفاً لم يسمع الناس بحلف قط كان أكرم منه ولا أفضل منه، وبدؤه أن رجلا من بني زبيد جاء بتجارة له مكة فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي ـ الذي نزل فيه قوله تعالى:

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ج١، ص١٢٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٧.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[1] ـ فمطله بحقه وأكثر الزبيدي الاختلاف إليه فلم يعطه شيئاً، فتمهل الزبيدي حتى إذا جلست قريش مجالسها وقامت أسواقها قام على أبي قبيس فنادى بأعلى صوته:

يا أهل فهر لمظلوم بضاعته	**ببطن مكة نائي الأهل والنفر**
ومحرم شعث لم يقض عمرته	**يا آل فهر وبين الحِجر والهَجرِ**
هل مخفر من بني سهم	**أم ذاهب في ضلال مال معتمر**
إن الحرم لم تمت حرامته	**ولا حرام لثوب الفاجر الغدر**

ثم نزل وأعظمت قريش ما قال وما فعل، ثم خشوا العقوبة وتكلمت في ذلك المجالس؛ ثم أن بني هاشم وبني المطلب وبني زهرة وبني تيم ـ والصحيح بني تميم[2] ـ تحالفوا بينهم أن لا يظلم بمكة أحد إلا كنا جميعاً مع المظلوم على الظالم حتى نأخذ له مظلمته ممن ظلمه شريف أو وضيع منا أو من غيرنا)[3]، ولم تشترك بني عبد شمس.

(وكان عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول: لو أن رجلاً خرج من قومه لكنت أخرج من عبد شمس حتى أدخل في حلف الفضول)[4].

أي بمعنى: أن بني أمية بن عبد شمس وبني ربيعة بن عبد شمس لم تكن

(١) سورة الكوثر، الآية: ٣.

(٢) أشار إلى ذلك محقق كتاب المنمق لمحمد بن حبيب البغدادي في هامش الصفحة: ص٥٣.

(٣) كتاب المنمق لمحمد بن حبيب البغدادي: ص٥٤.

(٤) المصدر نفسه.

ترى حرمة للكعبة، لذا لم تدخل في حلف الفضول الذي أنشأ من أجل حفظ حرمة الكعبة وتعظيمها ودفع وقوع الظلم في حرمها.

ومن ثم لا يعني شيئاً لبني أمية من ولد في الكعبة لأن أصل الحرمة للكعبة منتفية عندهم، ومن ثم فليولد فيها من يولد فالأمر سيان من المنظور التعظيمي والحرموي والمنقبي ما عدا أن يكون المولود فيها علي بن أبي طالب عليه السلام فهذا الأمر لا يمكن لبني أمية أن يقبلوه، بل أن يدعوه هكذا من دون أن يحارب أشد المحاربة؛ ومما يدل عليه:

ما أخرجه الأصفهاني عن المدائني عن ابن شهاب الزهري، قال: قال لي خالد بن عبد الله القسري[1]: أكتب لي النسب، فبدأت بنسب مضر، وما أتممته، فقال: أقطعه، أقطعه، قطعه الله مع أصولهم، وأكتب لي السيرة، فقلت له: فإنه يمر بي الشيء من سير علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه فأذكره؟

فقال: لا، إلا أن تراه في قعر الجحيم!!!

ـ فقال ابن شهاب ـ: لعن الله خالداً ومن ولاه وقبحهم، وصلوات الله على أمير المؤمنين)[2].

ومن ثمّ كيف يترك بنو أمية ومن انتهج نهجهم أمر ولادة علي بن أبي طالب عليه السلام في الكعبة من دون محاربتها أشد المحاربة.

---

(١) وهو أحد ولاة بني أمية.

(٢) كتاب الأغاني للأصفهاني: ج١٩، ص٥٩.

الظاهرة الثانية: ظاهرة ارتكاب الزنى في جوف الكعبة

إن مما يؤسف له أنّ كثيراً من المخازي والأفعال الدنيئة كانت تحدث في جوف الكعبة (أعزها الله تعالى) قبل الإسلام وهذا يكشف عن فقدان الحرمة في نفوس أولئك الجناة، بل أن أول انتهاكة لحرمة الكعبة وقعت على يد الجرهميين، وهم سكان مكة الأصليين.

ألف: قال الطبري (المتوفى ٣١٠هـ)

(فكان أول من ولى من جرهم البيت مضاض، ثم وليته بعده بنوه كابراً عن كابر حتى بغت جرهم بمكة، واستحلوا حرمتها، وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها، وظلموا من دخل مكة، ثم لم يتناهوا حتى جعل الرجل منهم إذا لم يجد مكاناً يزني فيه يدخل الكعبة فزنى؛ فزعموا أن إسافاً بغى بنائلة في جوف الكعبة فمسخا حجرين)[1].

باء: قال محمد بن حبيب البغدادي (المتوفى سنة ٢٤٥هـ)

(كان مفتاح البيت في أيدي جرهم وإن رجلاً منهم يقال له إساف بن يعلى عشق امرأة منهم يقال لها: نائلة بنت مزيد أو زيد فأصابا من البيت خلوة ففجرا فيه فمسخا حجرين فأخرجا فنصبا عند الكعبة ليعتبر الناس)[2].

جيم: قال ابن إسحاق (المتوفى سنة ١٥١هـ)

(عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنها قالت: ما زلنا نسمع إسافا ونائلة رجل وامرأة من جرهم زنيا في الكعبة فمسخا حجرين)[3].

---

(١) تاريخ الطبري: ج٢، ص٣٧.

(٢) كتاب المنمق لمحمد بن حبيب البغدادي: ص٢٨٢.

(٣) سيرة ابن إسحاق: ج١، ص٣.

دال: وقال ابن كثير

(إن إسافاً ونائلة كانا بشرين فزنيا داخل الكعبة فمسخا حجرين فنصبتهما قريش تجاه الكعبة ليعتبر بهما الناس فلما طال عهدهما عبدا ثم حولا إلى الصفا والمروة فنصبا هناك فكان من طاف بالصفا والمروة يستلمهما ولهذا يقول أبو طالب في قصيدته المشهورة:

وحيث ينسخ الآشعرون ركابهم لمفضى السيول من أساف

فهذه حال الكعبة (أعزها الله) عند الجرهمين فلو ولد لأحدهم مولود في جوف الكعبة فهل يعدون ذلك منقبة حظي بها الوليد في البيت؟

من الطبيعي أنها لا تعد منقبة.

ولذلك: فالمنقبة ينظر لها على أنها كذلك حينما يعتقد الناظر بحرمة الكعبة المشرّفة، أما من لا يعتقد بحرمتها فلا يعد ما يرتبط بها أي منقبة، بل لعله يعتقد العكس حسبما تمليه عليه معطياته الفكرية والثقافية.

الظاهرة الثالثة: الإشراك بالله في جوف الكعبة وهي بيت الله تعالى!!

إنّ الملاحظ في حادثة الجرهميين ومن جاء بعدهم فسكن مكة هو تلك العقلية التي كانت تسود تصرفات هؤلاء الناس، فهم عوض أن يتعظوا من مسخ هؤلاء الجناة إلى حجرين فيكفوا عن غيهم، انقلب الأمر فاخذوا يعبدونهما من دون الله تعالى، وهذا يكشف عن انعدام الحرمة من الأصل.

بمعنى: أنهم لا يرون حرمة لله تعالى من الأصل مما دفعهم إلى اقتراف الزنا داخل الكعبة ثم القيام بعبادة الأصنام، ولعل الكثير منهم لا يجعلها فقط في مرتبة

الشرك لله سبحانه وإنما في مرتبة الألوهية والعياذ بالله.

ولذلك لا يرى ضرورة في وجودها في الكعبة أم خارجها فجعلت على الصفا والمروة ؛ وهذا كله يكشف عن حدود عقلية هؤلاء.

وتفاوت الحرمة ونسبتها فقد تكون الحرمة محصورة في الصنم الذي يعبدون وقد تكون الحرمة في الكعبة بوصفها بيت الشريك ـ والعياذ بالله ـ كما يؤمنون به.

ومن هنا : نجدهم جعلوا (هبل) وهو أكبر أصنامهم في جوف الكعبة لاشتراك الحرمة فيما بينهما حسبما يعتقدون ، أي حرمة الكعبة وحرمة هبل ، أو حرمة الكعبة وحرمة إساف ونائلة ومنات واللات والعزى وغيرها ، كما تدل النصوص التاريخية.

ألف: قال ابن إسحاق في تعظيم العرب لهبل

(وكان هبل أعظم أصنام قريش بمكة وكانت على بئر في جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر هي التي تجمع فيها ما يهدى للكعبة)[(١)].

أي اجتماع الحرمتين في عقول القرشيين ، حرمة الصنم وحرمة الكعبة.

باء: احتواء الكعبة (أعزها الله) على أصنام غير هبل

ولم يقتصر الأمر فقط على وجود هبل في جوف الكعبة ، وإنما كان هناك أصنام أخرى ، وهي (اللات ، ومناة ، والعزى)[(٢)].

---

(١) سيرة ابن اسحاق : ج١ ، ص١١ ؛ جامع البيان لابن جرير الطبري : ج٦ ، ص١٠٣ ؛ تفسير الثعلبي : ج٤ ، ص١٥.

(٢) تفسير البغوي : ج٤ ، ص٢٥٠ ؛ زاد المسير لابن الجوزي : ج٧ ، ص٢٣٢ ؛ تفسير الواحدي : ج٢ ، ص١٠٤٠.

وهذا يدل على تغلغل هذا الاعتقاد في نفوس القريشين ومن ثمَّ تحديد المنقبة في ولادة حكيم بن حزام في جوف الكعبة مرتبط بما يعتقده القرشيون لا بما يعتقده الحافظ الذهبي ولاسيما وأنّ حكيم بن حزام ولد قبل عام الفيل بثلاث عشرة عام.

الظاهرة الرابعة: حرق الكعبة ورميها بالمنجنيق

ولم يقتصر هذا الأمر على تلك المدّة الزمنية التي مرت بها الأجيال العربية التي سكنت بجوار بيت الله الحرام وانما تتعداه إلى أزمنة أخرى ومتعاقبة لذلك الزمن حتى بعد مجيئ النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حسبما تدل عليه النصوص التاريخية والحديثية، ومن ثمّ فالاعتقاد بحصول المنقبة للولادة في جوف الكعبة متلازم مع الاعتقاد بحرمة الكعبة (أعزها الله) وهو ما لم يتحقق حصوله عند بني أمية والزبيرين كما دلت عليه المصنفات الإسلامية التي باتت حبلى بهذه الحوادث والشواهد.

أما الأمويون فقد كشفوا عن حقيقة اعتقادهم بحرمة الكعبة من خلال إرسالهم مسرف بن عقبة الذي بعثه يزيد بن معاوية لأخذ البيعة له من أهل المدينة ومكة وقتال عبد الله بن الزبير الذي تحصن بالحرم، فقدم الجيش وهو بقيادة الحصين بن نمير السكوني لتحقيق هذا الهدف الذي تم انجاز بعضه على يد مسرف بن عقبة في المدينة المنورة حينما دخلها واستباحها ثلاثة أيام وأخذ البيعة من الصحابة على أنهم عبيد (ليزيد بن معاوية)[1] لتظهر بهذه البيعة الأموية والشريعة

---

(١) كتاب المنمق لمحمد بن حبيب البغدادي: ص٣١٦؛ الطرائف لابن طاووس: ص١٦٦.

السفيانية ثقافة الاعتقاد بحرمة المدينة وحرمة الصحابة!!

وأما مكة فظهر اعتقاد بني أمية بحرمتها من خلال قتالهم ابن الزبير، فلما استعصى عليهم نصبوا المنجنيق ورموا بيت الله بالحجارة، وحرقوه بالنار، واخذوا يرتجزون ويقولون:

خطــارة مثــل الفنيــق الزبــدِ　　　　نرمي بها أعواد هذا المسجدِ[1]

الظاهرة الخامسة: قتل التابعيين في باحة الحرم وصلب ابن الزبير وهو مقطوع الرأس عند الكعبة

لم تكن هذه المرة الوحيدة التي يتعرض فيها بيت الله لهتك الحرمة والدمار. بل حدث ما هو أعظم من ذلك! حينما أمر عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي بالتوجه إلى مكة وقتل عبد الله بن الزبير، فكان له ما أراد، بعد أن حاصر الحجاج وجيشه البيت الحرام في الشهر الحرام، ولم يمنعه من ذلك الفعل الشنيع مانع، فلا البيت له حرمة، ولا الشهر له حرمة، ولا المسلمون الذين قدموا لتأدية المناسك كانت لهم حرمة عند بني أمية وأشياعهم.

فكان من أمرِ الحجاج أن نصب المنجنيق على جبل أبي قبيس ورمى به الكعبة[2].

وأول مارمى بالمنجنيق رعدت السماء وبرقت وعلا صوت الرعد والبرق على الحجارة فاشتمل عليها!! فأعظم ذلك أهل الشام وامسكوا بأيديهم.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٤، ص٣٨٣، أحداث سنة أربع وستين؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص١٢٥.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٣٥٠. أسد الغابة لابن الأثير: ج٣، ص٢٤٤.

فرفع الحجاج بركة قبائه فغرزها في منطقته ورفع حجر المنجنيق فوضعه فيه ثم قال أرموا ورمى معهم ؛ ثم أصبحوا فجاءت صاعقة تتبعها أخرى ، فقتلت من أصحابه أثنى عشر رجلاً ؛ فأنكسر أهل الشام.

فقال الحجاج : يا أهل الشام لا تنكروا هذا ، فإني ابن تهامة وهذه صواعقها ، وهذا الفتح قد حضر فابشروا[١].

فأخذوا يرمون بيت الله ، وجعلت الحجارة لا تهد ، لكنها تقع في المسجد الحرام كالمطر ، وكان رماة المنجنيق إذا هم وهنوا ، وسكتوا ساعة فلم يرموا يبعث إليهم الحجاج فيشتمهم ويتهددهم بالقتل.

فلم يزل الحجاج وأصحابه يرمون بيت الله الحرام بالحجارة حتى انصدع الحائط الذي على بئر زمزم عن آخره ! وانتقضت الكعبة من جوانبها !

ثم أمرهم الحجاج فرموا بكيزان النفظ والنار ، حتى احترقت الستارات كلها فصارت رماداً !.

والحجاج واقف ينظر كيف تحترق الستارات ، وهو يرتجز ويقول :

أمـا تراهـا سـاطعاً غبارهـا	**واللهُ يزعمـون جارهـا**
فقد وهت وصدعت أحجارها	**ونفـرت منهـا معـاً أطيارهـا**
وحـان مـن كعبتـه دمارهـا	**وحرقـت منهـا معـاً أستارها**

لمـا علاهـا نفطهـا ونارهـا[٢]

ثم جرت معركة عظيمة ودخل جيش الشام على عبد الله بن الزبير من

(١) المصدر السابق.

(٢) الفتوح لابن أعثم : ج٦ ، ص٣٤٠.

أبواب المسجد الحرام في وقت الصلاة وهم ينادونه: (يابن العمياء)[١]، (يابن ذات النطاقين)[٢].

ودار القتال في باحة المسجد الحرام وقتل عبد الله بن الزبير وجميع من كان معه، وقطع رأسه وأرسل إلى عبد الملك بن مروان[٣].

أما بدن ابن الزبير فقد صلب على جذع، وقيل على خشبه، منكساً على رأسه لعدّة أيام[٤] وربط معه كلب ميت[٥]؛ ثم أنزله الحجاج وألقى به في مقابر اليهود[٦]. وقيل دفنته أمه بالحجون[٧].

وقتل معه مائتان وأربعون رجلا منهم من سال دمه في جوف الكعبة[٨].

---

(١) تاريخ أبي مخنف: ج٢، ص٩٥؛ مروج الذهب: ج٣، ص١٢٩؛ المصنف لابن أبي شيبة: ج٥، ص٢٨٠.

(٢) ذات النطاقين: هي أسماء بنت أبي بكر وقد أصيبت بالعمى في آخر عمرها؛ وسبب تسميتها بـ«ذات النطاقين» هو لكونها شقت نطاقها إلى نصفين حينما جهزت طعاماً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر في خروجهما إلى المدينة، فربطت الطعام بشق من النطاق والماء بالشق الآخر.

انظر: صحيح البخاري: ج٣، ص١٠٨٧، حديث ٢٨١٧؛ صحيح مسلم: ج٤، ص١٩٧١، حديث ٢٥٤٥.

(٣) الفتوح لابن أعثم: ج٦، ص٣٤٢؛ تاريخ الطبري: ج٣، ص١١٩٢.

(٤) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٤، ص٣٥٦ ـ ٣٥٧؛ الفتوح لابن أعثم: ج٦، ص٣٤٣.

(٥) الكامل لابن الأثير: ج٤، ص٣٥٧.

(٦) صحيح مسلم، باب: ذكر كذاب ثقيف ومبيرها: ج٤، ص١٩٧١.

(٧) الكامل لابن الأثير: ج٤، ص٣٥٧.

(٨) الوافي بالوفيات للصفدي: ج١٧، ص٩٤؛ فوات الوفيات للكتبي: ج١، ص٥٣٥.

وبعد هذه الانتهاكات العظيمة لبيت الله، من الهدم، والحرق، وقتل الناس، وصلبهم على الجذوع كيف تبقى له حرمة بين الناس وعلى مختلف معتقداتهم؟!

بل: إن السؤال المطروح في البحث هو: كيف تعاد للبيت حرمته وهيبته بعد الآن؟!

وكيف يمكن دفع الضرر عنه مستقبلاً؟! بل كيف سيعاد بناؤُه؟!

ولذلك:

فأي منقبة نالها حكيم بن حزام في ولادته في جوف الكعبة حسبما يدعي الذهبي والنووي والبيت بهذه الحالة وبنو أمية لا يرون له حرمة، ومن ثمّ قد ذهبت المناقب بذهاب الحُرم.

المسألة الثالثة: للمناقب مفهوم آخر في الإيديولوجيا الأموية

قد ظهر فيما مرّ من البحث أن الولادة في جوف الكعبة هي منقبة لمن يعتقد بحرمة الكعبة وتعظيمها، فضلاً عن أن (المنقبة) لها ثلاث دلالات وهنّ (تقوائية، ولغوية، وعرفية)، فمتى ما دل المعنى على واحدة من هذه الثلاث عدة لصاحبها منقبة.

لكن في العقيدة الأموية للمنقبة مفهوماً آخر يرتكز على تسقيط الخصم والنيل منه بغض النظر عن ما لهذا الخصم من تقوى أو كرم أفعال أو شأنية اجتماعية وذلك أن هذه المراتب الثلاثة لا وجود لها في هذه العقيدة؛ إذ الرؤية مختلفة، والمعطيات الفكرية مغايرة لما عليه القرآن واللغة والعرف العربي.

وخير شاهد على هذه الإيديولوجيا في المجتمع العربي والإسلامي ما رواه ابن أبي الحديد المعتزلي وغيره عن ابن الكلبي عن أبيه، عن عبد الرحمن بن السائب، قال: (قال الحجاج يوماً لعبد الله بن هانئ، وهو رجل من بني أود ـ هي من قحطان ـ وكان شريفاً في قومه، قد شهد مع الحجاج مشاهده كلها، وكان من أنصاره وشيعته: والله ما كافأتك بعد!

ثم أرسل إلى أسماء بن خارجة سيد بنى فزارة: أن زوج عبد الله بن هانئ بابنتك فقال: لا والله ولا كرامة!، فدعا بالسياط، فلما رأى الشر قال: نعم أزوجه.

ثم بعث إلى سعيد بن قيس الهمداني رئيس اليمانية: زوج ابنتك من عبد الله بن أود.

فقال: ومن أود! لا والله لا أزوجه ولا كرامة!

فقال: عليّ بالسيف، فقال: دعني حتى أشاور أهلي، فشاورهم، فقالوا: زوجه ولا تعرض نفسك لهذا الفاسق، فزوجه.

فقال: الحجاج لعبد الله: قد زوجتك بنت سيد فزارة وبنت سيد همدان، وعظيم كهلان وما أود هناك!

فقال: لا تقل أصلح الله الأمير ذاك! فإن لنا مناقب ليست لأحد من العرب، قال: وما هي؟

قال: ما سب أمير المؤمنين عبد الملك في ناد لنا قط.

قال: منقبة والله.

قال: وشهد منا صفين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلا، ما شهد منا مع أبي تراب إلا رجل واحد، وكان والله ما علمته امرأ سوء. قال: منقبة والله.

قال: ومنا نسوة نذرن، إن قتل الحسين بن علي أن تنحر كل واحدة عشر قلائص، ففعلن. قال: منقبة والله.

قال: وما منا رجل عرض عليه شتم أبي تراب ولعنه إلا فعل وزاد ابنيه حسناً وحسيناً وأمهما فاطمة. قال: منقبة والله.

قال: وما أحد من العرب له من الصباحة والملاحة ما لنا.

فضحك الحجاج، وقال: أما هذه يا أبا هانئ فدعها وكان عبد الله دميما شديد الأدمة مجدورا، في رأسه عجر، مائل الشدق، أحول، قبيح الوجه، شديد الحول)[1].

فهذا المنهج الجديد أخذ في النفوذ في المجتمع الإسلامي منعكساً على العلاقات الفردية والأسرية فضلاً عن تفريق الأمة وتمزيق وحدتها وذلك لضياع المنهج القرآني في ضبط العلاقات الاجتماعية وحفظ الحقوق الشخصية ولم يعد الإنسان يرى لأحد من أهل الدين والعلم والأخلاق شأناً فقد اختلفت المفاهيم وتداخلت القيم فما هو مثلبة أصبح منقبة وما هو قبيح أصبح جميلاً إذ لم يعد للقبح في المجتمع ضابطة ولا للجمال رؤية فقد ذهبت الدلالات، حتى الرموز والإشارات أصبحت عاجزة عن البيان لهذا الإنسان.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج٤، ص٦١؛ الغارات للثقفي: ج٢، ص٨٤٢ ــ ٨٤٣؛ النصائح الكافية لابن عقيل: ص١٠٦؛ فرحة الغري لابن طاووس: ص٥٢.



المبحث الثالث

مناقشة الأقوال في ولادة حكيم بن حزام في الكعبة، وبيان بطلانها

عكف بعض الحفاظ الذين صنفوا في الحديث والسيرة والتراجم على التمسك بولادة حكيم بن حزام في جوف الكعبة من دون أن يبادر أحدهم إلى مناقشة هذا القول ودراسته ليرجح عنده صحته أم بطلانه ؛ فذهب إلى القطع بوقوعه وتكذيب غيره من دون أن يقدم دليلاً علمياً على ذلك.

ولعل البعض يرى أن السبب في عدم مناقشة هذه الأقوال هو أنّها لا تعني للمسلم شيئاً وذلك لأنّها لا ترقى إلى كونها ضرورة من ضرورات الدين إذ لا تعد من العبادات ولا من المعاملات ؛ لذا أعرض الحفاظ عن نقاشها.

وأقول : وإن كانت هذه الحادثة لم ترقَ إلى كونها ضرورة من ضرورات الفقه إلا أنها ضرورة من ضرورات العقيدة التي هي قوام هوية المسلم وسبيله لأخذ الأحكام الشرعية ، فلو ذهبت العقيدة ذهبت معها أحكام الإسلام ؛ فالمسلم الذي تأخذ الصلاة والزكاة والحج وغيرها من الفرائض بعنقه لأدائها هي عقيدته الإسلامية وليس قراءته للحكم الفقهي وإلا تصبح الصلاة من دون العقيدة الإسلامية عبارة عن حركات رياضية ، ويصبح الصيام برنامجاً صحياً ، ويصبح

الحج نزهة وتسوقاً؛ وهذا أولاً.

وثانياً: لو لم تكن هذه الحادثة لها من الأهمية العقائدية لما عكف الحفاظ على نقلها؛ بل إن تركهم لمناقشة الأقوال الواردة فيها مرده العقيدة، وهذه بعض ألفاظهم الكاشفة عن عقيدتهم في الحادثة ولذلك لم يدرسوا واقعها العلمي.

١ـ قال الحافظ النووي: (ولم يصح أن غيره ولد في الكعبة)[١]، بمعنى أن هناك من ولد في الكعبة وهو غير حكيم بن حزام لكن الحافظ النووي لم يناقش الأقوال فيقنع المسلم بصحة ولادة حكيم بن حزام، فهذا يكشف عن عقيدته وليس عن علمه.

٢ـ وقال أيضا: (حكيم بن حزام رضي الله عنه ومن مناقبه أنه ولد في الكعبة! قال بعض العلماء ولا يعرف أحد شاركه في هذا)[٢]؟؟!

وهنا: يظهر عقيدته في الرواية وليس علمه أو درايته بها.

٣ـ قال الحلبي بعد أن أورد ولادة أمير المؤمنين عليه السلام في الكعبة، وقيل: (الذي ولد في الكعبة حكيم بن حزام، قال بعضهم: لا مانع من ولادة كليهما في الكعبة، لكن في النور حكيم بن حزام ولد في جوف الكعبة، ولا يعرف ذلك لغيره، وأما ما روي أن عليا ولد فيها فضعيف عند العلماء)[٣]!؟؟

وهنا: لم نلحظ الحلبي قد قام بمناقشة القولين وإنما سلّم لما يعتقد به هو في أن علياً لم يلد في الكعبة بل، ذهب إلى اعتماد الضعف في الرواية دون أي دليل علمي.

---

(١) المجموع: ج٢، ص٦٦.

(٢) شرح صحيح مسلم للحافظ النووي: ج٢، ص١٤٢.

(٣) السيرة الحلبية: ج١، ص٢٢٦.

٤ـ قال ابن أبي الحديد: (واختلف في مولد علي أين كان، فكثير من الشيعة يزعمون أنه ولد في الكعبة، والمحدثون لا يعترفون بذلك، ويزعمون أن المولود في الكعبة حكيم بن حزام)؟

وهنا:

يكمن الخبر اليقين فالمحدثون لا يعترفون بأن المولود في الكعبة علي بن أبي طالب عليه السلام؛ لأن هؤلاء المحدثين خشوا ــ ربما ــ من خالد القسري حينما سأله ابن شهاب الزهري قائلاً: (إنه يمر بي الشيء من سير علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه فأذكره؟

فقال خالد القسري وهو أحد ولاة بني أمية: لا، إلا أن تراه في قعر الجحيم)[1].

ولأن المحدثين لم يروا أمير المؤمنين عليه السلام فيما قال خالد القسري فهم لذلك لا يعترفون بولادة علي بن أبي طالب عليه السلام لأنهم لا يرون الكعبة! فكيف يرون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد ولد فيها.

إذن:

الأمر مرتكز على العقيدة التي بها تتكون هوية المسلم وبها تظهر ملامح شخصيته وثقافته، إلا أننا لا نسلك طريق هؤلاء الحفاظ وإنما نسلك طريق البحث والدراسة والمناقشة لهذه الأقوال فما رجح منها أخذنا به وما سقط أعرضنا عنه فيما يزيد المسلم إلا جهلاً وبعداً عن الله تعالى.

(١) الأغاني للأصفهاني: ص٣٥٨.

المسألة الأولى: عرض الأقوال في ولادة حكيم بن حزام على طاولة البحث

أنني أحببت أن أذكر هذه الأقوال في بادئ الأمر، أي في هذه المسألة ثم أقوم بمناقشتها في المسألة التالية. وذلك لتهيئة القارئ الكريم إلى المناقشة.

أولاً: الحافظ مسلم بن الحجاج (صاحب الصحيح)، (المتوفى سنة ٢٦١هـ)

قائلاً: (ولد حكيم بن حزام في جوف الكعبة وعاش مائة وعشرين سنة)[١].

ثانياً: الحافظ النووي (المتوفى سنة ٦٧٦هـ)

قال في شرحه لصحيح مسلم: (حكيم بن حزام الصحابي رضي الله عنه، ومن مناقبه أنه ولد في الكعبة، قال بعض العلماء ولا يعرف أحد شاركه في هذا)[٢].

ثالثاً: ابن أبي الحديد المعتزلي (المتوفى سنة ٦٥٦)

قائلاً: (واختلف في مولد علي أين كان فكثير من الشيعة يزعمون أنه ولد في الكعبة والمحدثون لا يعترفون بذلك، ويزعمون أن المولود في الكعبة حكيم بن حزام)[٣].

رابعاً: الحلبي في سيرته (المتوفى سنة ١٠٤٤هـ)

قائلاً: (وقيل، الذي ولد في الكعبة حكيم بن حزام، قال بعضهم لا مانع من ولادة كليهما في الكعبة ـ أي: علي بن أبي طالب عليه السلام وحكيم بن حزام ـ، لكن في النور حكيم بن حزام ولد في جوف الكعبة ولا يعرف لغيره وأما ما روي أن علياً ولد فيها فضعيف عند العلماء)[٤].

---

(١) صحيح مسلم، باب: النهي عن بيع الثمار، ج٥، ص١١.

(٢) شرح صحيح مسلم: ج٢، ص١٤٢.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١، ص١٤.

(٤) السيرة الحلبية: ج١، ص٢٢٦.

خامساً: الحافظ الحاكم النيسابوري (المتوفى سنة ٤٠٥هـ)

قائلاً: (سمعت أبا الفضل الحسن بن يعقوب يقول: سمعت أبا محمد بن عبد الوهاب يقول: سمعت علي بن غنام العامري يقول: ولد حكيم بن حزام في جوف الكعبة وخلت أمه الكعبة فمخضت فيها فولدت في البيت)[١].

سادساً: الحافظ ابن حجر العسقلاني (المتوفى سنة٥٨٢هـ)

قائلاً: (وحكى الزبير بن بكار أن حكيم بن حزام ولد في جوف الكعبة، قال وكان من سادات قريش في الجاهلي والإسلام)[٢].

نكتفي بهذه الأقوال لأنها صدرت من بعض الحفاظ الذين نالوا حظاً كبيراً من الشهرة والتصنيف ولأن كثير من المسلمين يعتقدون بعلمهم ويأخذون بأقوالهم.

أما بقية الأقوال فهي تبع لذلك فقد أوردت ولادة حكيم بن حزام أما سماعاً وأما حكاية من دون أن تصرح باسم القائل ولم تشر إلى أي دليل علمي يثبت صحة هذه الأقوال سوى محاولات يائسة وأخرى بائسة كقولهم:

أ: إن المحدثين يزعمون أن المولود في الكعبة حكيم بن حزام!!

ب: قال بعض العلماء ولا يعرف أحد شاركه في هذا!!

ج: إنّ من مناقبه ولد في جوف الكعبة!!

د: قال بعضهم لا مانع من ولادة كليهما!!

بقي أن نقول إننا لم نراعِ في تسلسل هذه الأقوال الوقوع الزمني وذلك لحاجة في الاستدلال سيمر على القارئ بيانها، لذا جعلنا آخرها قول الحاكم والحافظ ابن حجر لارتباطها بالمبحث ـ بعون الله تعالى ـ.

(١) مستدرك الحاكم: ج٣، ص٤٨٢.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر: ج٢، ص٣٨٥.

المسألة الثانية: مناقشة هذه الأقوال

أولاً: مناقشة قول الحافظ مسلم النيسابوري صاحب الصحيح

أما قول مسلم بن الحجاج النيسابوري صاحب (الصحيح) فقد أورده من دون سند فقد أدخله على الحديث وأقحمه فيه إقحاماً وهو كما واضح تدليساً في الحديث، إذ قال:

حدثنا عمرو بن علي، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا همام عن أبي التياح قال: سمعت عبد الله بن الحارث يحدث عن حكيم بن حزام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمثله (قال مسلم بن الحجاج ولد حكيم بن حزام في جوف الكعبة، وعاش مائة وعشرين سنة).

حدثنا يحيى بن يحيى ويحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر قال يحيى بن يحيى أخبرنا وقال الآخرون حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار انه سمع ابن عمر يقول ذكر رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه يخدع في البيوع..)[1].

وهذا الأسلوب لا يدل على صحة هذا القول وإنما يعبر عن رأي مسلم الذي أقحمه فيما بين الحديثين ولو وجد مسلم بن الحجاج لولادة حكيم بن حزام أصلاً وسنداً لأوردها من دون تردد، لكنه عمد إلى الالتفاف على الحديث وعلى القارئ لتمرير ما يعتقد به في ولادة حكيم بن حزام ونقض ولادة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

---

(١) صحيح مسلم، باب النهي عن بيع الثمار: ج٥، ص١١.

ثانيا: مناقشة قول الحافظ النووي

اعتمد الحافظ النووي في تمرير القول بولادة حكيم بن حزام على صرف انتباه القارئ إلى لفظ المنقبة كي يوقعه في وهم تصديق هذه الحادثة انطلاقاً مما يرتكز في ذهن المسلم من دلالات للفظ (المنقبة).

ولكي يرفع النووي هذا الوهم إلى رتبة الظن ـ على الأقل ـ اعتمد على ربط الحادثة بعهدة بعض العلماء قائلاً: (قال بعض العلماء ولا يعرف أحد شاركه في هذا)[1].

فجعل القارئ يسلم للأمر بين قيود لفظين وهما (المنقبة) و(العلماء).

في حين كان يلزم به ولو من قبيل الأمانة العلمية فضلاً عما تفرضه الأمانة الشرعية من بيان للحقائق وإظهارها وحرمة كتمانها، أن يذكر للقارئ من هؤلاء العلماء الذين قالوا: ولا يعرف أحد شاركه في هذا)!!

وأي علماء هؤلاء وهم لا يعرفون أحد شاركه في هذا وكأنهم من علماء اليهود والنصارى وحتى هؤلاء فقد سمعوا وعرفوا أن هناك رجلاً آخر شارك حكيم بن حزام ـ على الأقل في الرواية ـ بولادته في الكعبة وهو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

إلا أن هؤلاء (العلماء) الذين لا يعرفون علي بن أبي طالب عليه السلام ولم يسمعوا به فهم ليسوا من أهل هذا الكوكب، وذلك أن علماء جميع المذاهب والأمم قد عرفوا علي بن أبي طالب عليه السلام سوى أساتذة النووي الذين أخذ عنهم علومه؟!!

(١) شرح صحيح مسلم: ج٢، ص١٤٢.

ولأن هؤلاء العلماء من المجاهيل الذين لا أحد يعرفهم سوى النووي فيكون هذا القول فاسداً ولا يعول عليه.

ثالثاً: مناقشة قول ابن أبي الحديد المعتزلي

ومن أطرف هذه الأقوال ما ورد عن ابن أبي الحديد المعتزلي فقد قال: (واختلف في مولد علي أين كان، فكثير من الشيعة يزعمون أنه ولد في الكعبة والمحدثون لا يعترفون بذلك: ويزعمون أن المولود في الكعبة حكيم بن حزام.

وهذا القول يتضمن مجموعة من الإشكالات، وهي كالآتي:

١ـ طريفة، هي المعالجة التي عالج فيها ابن أبي الحديد المعتزلي حادثة الولادة في الكعبة فقد حصرها في المزاعم بين الطرفين، إلا أنه فاته أن يكون منصفاً وأميناً حتى في هذه المزاعم.

فقد وصف ولادة علي بن أبي طالب عليه السلام إلى المذهب فقال (كثير من الشيعة) فنعتهم بمذهبهم الذي يدينون به ويتقربون به إلى الله تعالى بما للنصوص القرآنية والنبوية من إلزام في الأخذ بأعناقهم إلى هذا التعبد.

ونسب ولادة حكيم بن حزام إلى (المحدثين) وهنا: ولأنها مقايسة غير علمية وغير أمينة فقد نسب هذا القول إلى المحدثين من دون أن يأتي بقرينة تكشف عن هوية هؤلاء المحدثين فقد يكونون من محدثي اليهود، وقد يكونون من محدثي النصارى، وقد يكونون من محدثي المنافقين أو الخوارج أو الوثنيين وغير ذلك، وكله يصح لغياب القرينة.

كما فعل في قوله (كثير من الشيعة) فعندها أصبح واضحاً أن القول صادر

من الشيعة، أما أن يترك ولادة حكيم بن حزام إلى (المحدثين) من دون أن يأتي بقرينة تعرف هؤلاء المحدثين فهذه طريقة لكنها تصلح أن تضاف إلى طرائف جحى لا لإثبات حادثة تاريخية متلازمة مع العقيدة الإسلامية.

٢ـ من العجيب أن ينسب ابن أبي الحديد حادثة ولادة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى (الشيعة) وكأنه لم يقرأ كتاباً واحداً من كتب أهل السنة والجماعة، ولا علم له بها فهو مشغول بين أقوال الشيعة وأقوال المحدثين المجهولين.

لكنا هنا: نلفت انتباه ابن أبي الحديد ومن تبنى قوله إلى أنّ كثيراً من حفاظ أهل السنة والجماعة وهم أصحاب مدرسة الخلافة قد رووا أن المولود في الكعبة علي بن أبي طالب عليه السلام وليس أولئك المحدثين المجهولين الهوية الذين زعموا أن حكيم بن حزام، قد ولد في الكعبة، ولأن هؤلاء المحدثين المجهولين لا يعترفون بولادة الإمام علي عليه السلام في الكعبة فقد أخذ ابن أبي الحديد بقولهم ونقله للقراء ونكتفي هنا بذكر قولين.

أ: قال الحافظ الحاكم النيسابوري صاحب المستدرك على الصحيحين البخاري ومسلم.

فقد قال: (تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة)[1].

ب: قال الزرندي الشافعي (المتوفى سنة ٧٥٠هـ):

(وولد كرم الله وجهه في جوف الكعبة، يوم الجمعة الثالث عشر من رجب

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم: ج٣، ص٤٨٣.

قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة على المشهور)[١].

إذن: هذا تقول واضح على المحدثين وإن كانوا مجهولي الهوية.

٣ـ وقد اتهم ابن أبي الحديد المحدثين حينما نسب إليهم جميعاً عدم الاعتراف بولادة الإمام علي عليه السلام في الكعبة في حين كانت الأمانة العلمية والدينية تلزمه إلى عدم التعميم في هذه التهمة فإن ذلك يدفع القارئ إلى القطع بأن المولود هو حكيم بن حزام.

في حين أن كثيراً من المحدثين من أهل السنة والجماعة لا يعترفون بولادة حكيم بن حزام في الكعبة وليس العكس، بل وإنما ينكرون على الرواة إتباعهم الأوهام في ولادة حكيم بن حزام، كقول الحاكم النيسابوري: (وهم مصعب)[٢].

رابعا: مناقشة قول الحلبي صاحب السيرة

قال: (وقيل، الذي ولد في الكعبة حكيم بن حزام، قال بعضهم: لا مانع من ولادة كليهما في الكعبة لكن في النور ـ أي كتاب النور ـ حكيم بن حزام ولد في جوف الكعبة ولا يعرف لغيره وأما ما روي أن عليا ولد فيها فضعيف عند العلماء).

أقول: إن كان قول ابن أبي الحديد من أظرف الأقوال فان من أعجبها قول الحلبي الذي ملئ بالمتناقضات وهي كالآتي:

١ـ إن هذا القول لا يتعدى كونه تبعاً لتلك الأقوال غير العلمية، فما معنى

(١) معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ص٥٧.

(٢) المستدرك للحاكم: ج٣، ص٤٨٣.

أن ينسب المتكلم الحادثة التاريخية إلى: (وقيل) من دون أن يأتي بسند أو مصدر معتبر لهذا (القول)، ثم يمضي الحلبي في هذا الأسلوب ليتبع هذا (القيل) بلفظ: (قال بعضهم)، ومن هم؟ لا أحد يعلم سوى الحلبي، بل حتى الحلبي لا يعلم من هم، وإلا لأورد أسماءهم!!

٢ـ وأما قوله (لا مانع من ولادة كليهما) فسرعان ما تراجع عنه، فقد رجح عنده، وهذه المرة متبعاً اعتماد المصدر كي يوقع القارئ فيما ينسجم مع عقيدته ـ فيقول: (لكن في النور ـ ولم يقل كتاب النور ـ حكيم بن حزام ولد في جوف الكعبة، ولا يعرف لغيره) وهذه العبارة مرت علينا آنفاً.

فصاحب كتاب النور الذي ينقل عنه الحلبي معذور فهو لم يعرف علي بن أبي طالب عليه السلام لا في الدنيا ولا سيعرفه في الآخرة ولذلك قال في ولادة حكيم: (ولا يعرف لغيره) أنه ولد في الكعبة!!

وأما عدم وجود (المانع في ولادة كليهما) فهو من الطرائف التي لا تجد ضوابط في طرح ما ترويه سوى الابتسامة لذا: هي طريفة وعجيبة، ولو أتبعت هذه الطرائف الموانع الشرعية والعقلية والعرفية لما سميت بالطريفة، وقول الحلبي: (لا مانع من ولادة كليهما) من الطرائف وكأن بيت الله الحرام هو بيت الحلبي، أو هو مستشفى خصص لولادة نساء قريش فأي واحدة ضربها المخاض خرجت لبيت الله الحرام فنفست فيه، وذلك لعدم وجود موانع من ذلك فليس للبيت حرمة أو تعظيم أو قداسة كما يعتقد أهل لعقة الدم فهذا الخلف تبعاً لذاك السلف كما يعتقد الحلبي في عدم وجود مانع من ولادة مشرك من أبوين مشركين في بيت التوحيد، بيت الله الحرام!!

٣ـ وأما قوله (وأما ما روي أن علياً ولد فيها فضعيف عند العلماء) نحن وإن كنا قد ناقشنا هذه العبارة (عند العلماء) في قول الحافظ النووي.

إلا أنها فيها الكفاية عن بيان ضياع المنهج العلمي عند الحلبي حينما اتبع التعارض في الأقوال بين: (وقيل الذي ولد في الكعبة حكيم بن حزام) ثم ليرتفع في سلم الخطاب فيجمع الرجلين في الحدث في قوله: (لا مانع من ولادة كليهما في الكعبة).

ثم ليدفع بهوى نفسه وعقيدته في علي بن أبي طالب كأسلافه خالد القسري والحجاج الثقفي فيوهم القارئ بأن علي بن أبي طالب لم يولد في الكعبة؟!

بقوله: (وأما ما روي أن عليا ولد فيها فضعيف عند العلماء).

والسبب في ضعف ولادة علي عليه السلام في الكعبة عند هؤلاء العلماء فهو لأن هؤلاء العلماء يبحثون عن علي عليه السلام في (قعر الجحيم كخالد القسري) ولأنهم لم ولن يجدوه فسيبقى هؤلاء خالدين في قعر الجحيم وهم يبحثون، ولن يجدوا علياً عليه السلام؛ ولذا اشتبه عليهم المكان فبدل من أن يبحثوا عنه في بيت الله الحرام ذهبوا إلى الجحيم؟!

خامساً: مناقشة قول الحافظ الحاكم النيسابوري

قال: (ولد حكيم بن حزام في جوف الكعبة دخلت أمه فمخضت فيها فولدت في البيت)[1].

وأما قول الحاكم النيسابوري الذي أورده في المستدرك سماعاً فإنه سرعان ما

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم: ج٣، ص٤٨٢.

يعود إليه فينفيه، بل ويظهر زيف هذا القول وأنه عبارة عن وهم توهم فيه قائله، فانظر عزيزي القارئ إلى ما قال:

(أخبرنا أبو بكر بن أحمد بن بالويه، ثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، ثنا مصعب بن عبد الله فذكر نسب حكيم بن حزام وزاد فيه وأمه فاختة بنت زهير بن أسد بن عبد العزى وكانت ولدت حكيماً في الكعبة وهي حامل فضربها المخاض وهي في جوف الكعبة فولدت فيها فحملت في نطع وغسل ما كان تحتها من الثياب عند حوض زمزم ولم يولد قبله ولا بعده في الكعبة أحد).

قال الحاكم: (وَهَمَ مصعب في الحرف الأخير ـ أي توهم ـ فقد تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة)[1].

وقد قدم لنا الحاكم في رده لهذا الوهم والزيف حقيقة مهمة إذ يكشف بأسلوب مهذب أصل هذا الخبر ومحل صدوره وهو مصعب بن عبد الله، الذي سنتوقف معه لنستنطقه في معرفة الأسباب التي دعته لخلق هذا الوهم ونشره بين المسلمين.

سادساً: مناقشة قول الحافظ ابن حجر العسقلاني

أما قول ابن حجر فقد نقله عن الزبير بن بكار حكاية ثم أتبعه بقوله: «وقال الزبير عن عمه مصعب قال: جاء الإسلام وفي يد حكيم الرفادة وكان يفعل المعروف ويصل الرحم ويحض على البر[2].

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ج٣، ص٤٨٣.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر: ج٢، ص٣٨٥.

وهذا يكشف أنّ هذه الأقوال نابعة عن مصعب بن عبد الله الذي وصف عم أبيه بأنه أحد سادات قريش في الجاهلية والإسلام.

إذن: يكمن نشر هذا الادّعاء، أي ولادة حكيم بن حزام في جوف الكعبة في شخصيتين وهما:

١ـ الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب الزبيري.

٢ـ وعمه، مصعب بن عبد الله بن مصعب الزبيري.

واللذان يعود نسبهما إلى عبد الله بن الزبير بن العوام.

وهو ما سنتناوله في المبحث الآتي.



المبحث الرابع

دور الزبيريين في محاربة فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام ومعاداتهم عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنها الولادة في الكعبة

لم يكن عبد الله بن الزبير وأبناؤه بأحسن حالاً من الأمويين في الاعتقاد بحرمة بيت الله وأهله وبعدائهم عليّ بن أبي طالب وبني هاشم عامة، ولم يكن البيت الحرام ولا أهله بمانعيهم عن المحاربة لهما.

المسألة الأولى: تغيير عبد الله بن الزبير بناء الكعبة وانتهاك حرمتها وسفك دماء المسلمين فيها

روى الشيخ الكليني رحمه الله عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: (كانت الكعبة على عهد إبراهيم عليه السلام تسعة أذرع وكان لها بابان فبناها عبد الله بن الزبير فرفعها ثمانية عشر ذراعاً فهدمها الحجاج فبناها سبعة وعشرين ذراعاً)[1].

وهنا نلحظ أنّ ارتفاع الكعبة كان بفعل رأي عبد الله بن الزبير وتغيره لما أمر أمر الله به نبيه إبراهيم الخليل عليه السلام فحولها من تسعة أذرع إلى ثمانية عشر ذراعاً ثم يقوم الحجاج فيرفعها أكثر من ذلك فيحولها إلى سبعة وعشرين ذراعاً.

---

(١) الكافي: ج٤، ص٢٠٧.

وأما ما دار فيها من القتال بين عبد الله بن الزبير وأتباعه وجيش الشام بقيادة مسرف بن عقبة في زمن معاوية حتى احترقت ثياب الكعبة ، وفي قيادة الحجاج بن يوسف الثقفي في زمن عبد الملك بن مروان حتى هدمت الكعبة واستبيحت حرمتها وسفكت دماء التابعيين وأبنائهم والمسلمين فيها ، وإنّ في هذا غنيً عن التفصيل ؛ إذ أن كتب التاريخ لحبلى بهذه الأحداث.

المسألة الثانية: معاداة عبد الله بن الزبير أهل البيت عليهم السلام وامتناعه من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بغضاً لأهل بيته عليهم السلام

إنّ مما يدل على زيف ادّعاء الزبيريين في ولادة ابن عمهم حكيم بن حزام في جوف الكعبة فضلاً عن بيان السبب الحقيقي لهذا الادعاء الكاذب والدافع من ورائه ، هو ما رواه أبو الفرج الأصفهاني لحديث يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الإمام الحسن بن علي عليهما السلام مع عبد الله بن مصعب ــ والذي يظهر فيه عداء الزبيريين وبغضهم عليّ بن أبي طالب وأولاده عليهم السلام ــ حينما اتهمه بالخروج على الخليفة العباسي هارون ، وقد جمع بينهما هارون (المدعو بالرشيد) بعد أن سجن يحيى بن عبد الله بن الحسن فأخرجه من السجن وأحضره إلى القصر ، وكان عبد الله بن مصعب حاضراً ، فقال لهارون متهماً يحيى بالخروج على الخليفة : (إن هذا دعاني إلى بيعته.

فقال له يحيى : يا أمير المؤمنين أتصدّق هذا وتستنصحه وهو ابن عبد الله بن الزبير! أدخل أباك وولده الشعب وأضرم عليهم النار حتى تخلّصه أبو عبد الله

الجدلي صاحب علي بن أبي طالب منه عنة.

وهو الذي بقى أربعين جمعة لا يصلي على النبي[١] ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في خطبيته حتى إلتاث عليه الناس. فقال:

إنّ له أهل بيت سوء إذا صليت عليه أو ذكرته أتلعوا أعناقهم واشرأبوا لذكره وفرحوا بذلك فلا أحب أن أقر عينهم بذكره.

وهو الذي فعل بعبد الله بن العباس ما لا خفاء به عليك حتى لقد ذبحت يوما عنده بقرة فوجدت كبدها قد نقبت فقال ابنه علي بن عبد الله: يا أبة أما ترى كبد هذه البقرة؟ فقال: يا بني، هكذا ترك ابن الزبير كبد أبيك، ثم نفاه إلى الطائف، فلما حضرته الوفاة قال لعلي ابنه: يا بني، الحق بقومك من بني عبد مناف بالشام، ولا تقم في بلد لابن الزبير فيه إمرة.

فاختار له صحبة يزيد بن معاوية على صحبة عبد الله بن الزبير. ووالله إن عداوة هذا يا أمير المؤمنين لنا جميعا بمنزلة سواء، ولكنه قوى علي بك وضعفت عنك، فتقرب بي إليك، ليظفر منك بما يريد، إذ لم يقدر على مثله منك، وما ينبغي لك أن تسوغه ذلك فيّ، فإنّ معاوية بن أبي سفيان، وهو أبعد نسباً منك إلينا، ذكر يوماً الحسن بن علي فسفّهه فساعده عبد الله بن الزبير على ذلك، فزجره معاوية وانتهره فقال: إنما ساعدتك يا أمير المؤمنين! فقال: إن الحسن لحمي آكله. ولا أوكله.

---

(١) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني: ص٣١٥؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج٤، ص٦٢؛ النصائح الكافية لابن عقيل: ص١٢٥؛ مروج الذهب للمسعودي: ج٣، ص٨٨.

فقال عبد الله بن مصعب: إن عبد الله بن الزبير طلب أمراً فأدركه. وإن الحسن باع الخلافة من معاوية بالدراهم، أتقول هذا في عبد الله بن الزبير، وهو ابن صفية بنت عبد المطلب؟

فقال يحيى: يا أمير المؤمنين، ما أنصفنا أنْ يفخر علينا بامرأة من نسائنا وامرأة منا، فهلا فخر بهذا على قومه من النوبيات والاساميات والحمديات!

فقال عبد الله بن مصعب: ما تدعون بغيكم علينا وتوثبكم في سلطاننا؟

فرفع يحيى رأسه إليه، ولم يكن يكلمه قبل ذلك، وإنما كان يخاطب الرشيد بجوابه لكلام عبد الله، فقال له: أتوثبنا في سلطانكم؟ ومن أنتم ــ أصلحك الله ــ عرفني فلست أعرفكم؟ فرفع الرشيد رأسه إلى السقف يجيله فيه ليستر ما عراه من الضحك ثم غلب عليه الضحك ساعة، وخجل ابن مصعب. ثم التفت يحيى فقال: يا أمير المؤمنين، ومع هذا فهو الخارج مع أخي على أبيك والقائل له:

إن الحمامة يوم الشعب من دثن	**هاجت فؤاد محب دائم الحزن**
إنا لنأمل أن ترتد إلفتنا	**بعد التدابر والبغضاء والإحن**
حتى يثاب على الإحسان محسننا	**ويأمن الخائف المأخوذ بالدمن**
وتنقضي دولة أحكام قادتها	**فينا كأحكام قوم عابدي وثن**
فطالما قد بروا بالجور أعظمنا	**بري الصناع قداح النبع بالسفن**
قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتنا	**إن الخلافة فيكم يا بني الحسن**
لا عز ركنا نزار عند سطوتها	**إن أسلمتك ولا ركنا ذوي يمن**
ألست أكرمهم عودا إذا انتسبوا	**يوما وأطهرهم ثوبا من الدرن**
وأعظم الناس عند الناس منزلة	**وأبعد الناس من عيب ومن وهن**

قال: فتغير وجه الرشيد عند استماع هذا الشعر، فابتدأ ابن مصعب يحلف بالله الذي لا إله إلا هو، وبأيمان البيعة أن هذا الشعر ليس له وأنه لسديف. فقال يحيى: والله يا أمير المؤمنين ما قاله غيره، وما حلفت كاذبا ولا صادقا بالله قبل هذا، وإن الله إذا مجده العبد في يمينه بقوله: الرحمن الرحيم، الطالب الغالب، استحيى أن يعاقبه، فدعني أحلفه بيمين ما حلف بها أحد قط كاذبا إلا عوجل. قال: حلفه.

قال: قل: برئت من حول الله وقوته، واعتصمت بحولي وقوتي، وتقلدت الحول والقوة من دون الله، استكباراً على الله، واستغناء عنه واستعلاء عليه إن كنت قلت هذا الشعر. فامتنع عبد الله من الحلف بذلك، فغضب الرشيد وقال للفضل بن الربيع: يا عباسي ماله لا يحلف إن كان صادقا؟ هذا طيلساني علي، وهذه ثيابي لو حلفني أنها لي لحلفت.

فرفس الفضل بن الربيع عبد الله ابن مصعب برجله وصاح به: إحلف ويحك ـ وكان له فيه هوى ـ فحلف باليمين ووجهه متغير وهو يرعد، فضرب يحيى بين كتفيه ثم قال: يا بن مصعب قطعت والله عمرك، والله لا تفلح بعدها. فما برح من موضعه حتى اصابه الجذام فتقطع ومات في اليوم الثالث.

فحضر الفضل بن الربيع جنازته، ومشى الناس معه، فلما جاءوا به إلى القبر ووضعوه في لحده وجعل اللبن فوقه، انخسف القبر فهوى به حتى غاب عن أعين الناس، فلم يروا قرار القبر وخرجت منه غبرة عظيمة.

فصاح الفضل: التراب التراب فجعل يطرح التراب وهو يهوى، ودعا

بأحمال الشوك فطرحها فهوت، فأمر حينئذ بالقبر فسقف بخشب وأصلحه وانصرف منكسراً.

فكان الرشيد بعد ذلك يقول للفضل: رأيت يا عباسي، ما أسرع ما اديل ليحيى من ابن مصعب)[١].

والحادثة تدل على جملة من الحقائق:

١. المجاهرة ببغض عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٢. إعلان الحرب عليهم وإيذائهم أشد الأذى، مع ما في ذلك من أذى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٣. محاربة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم جهاراً بالامتناع عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأربعين أسبوعاً أي لتسعة أشهر.

٤. الدافع الحقيقي لإطلاق أكذوبة ولادة حكيم بن حزام في جوف الكعبة وهو التقليل من شأن العلويين والهاشميين الذين حباهم الله سبحانه برسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبوصيه وخليفته علي بن أبي طالب عليه السلام.

٥. ثبوت حرمة ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض النفوس التي خالطتها الظنون حينما رأوا بأم أعينهم ما جرى لعبد الله بن مصعب من الهلاك والخزي في الدنيا.

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَشَدُّ﴾[٢].

---

(١) مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني: ص٣١٥ ــ ٣١٨؛ البحار للمجلسي: ج٤٨، ص١٨٣؛ شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج١٩، ص ٩١.

(٢) سورة طه، الآية: ١٢٧.

المسألة الثالثة: دور الزبير بن بكار وعمه مصعب في نشر الادعاء بولادة حكيم بن حزام في الكعبة، والدليل على زيفه

إلا إننا نجد أن الحافظ ابن حجر العسقلاني قد كشف عن الرواي الأساس في قضية ولادة حكيم بن حزام في جوف الكعبة، فقال: «وحكى الزبير بن بكار: أنّ حكيم بن حزام قد ولد في جوف الكعبة وكان من سادات قريش في الجاهلية والإسلام».

وهو بذاك قد وضع أيدينا على الجرح وذلك لما عُرف به الزبير بن بكار من معاداة للعلويين في المدينة المنورة وفي غيرها حسبما دلت عليه النصوص التاريخية:

١. قال ابن الأثير الجزري: (قدم الزبير بن بكار العراق هارباً من العلويين لأنه كان ينال منهم فتهدوده فهرب منهم وقدم على عمه مصعب بن عبد الله وشكا إليه حاله وخوفه من العلويين وسأله إنهاء حاله إلى المعتصم ـ الخليفة العباسي ـ فلم يجد عنده ما أراد وأنكر عليه حاله ولامه.

قال أحمد: فشكا ذلك إلي وسألني مخاطبة عمه في أمره، فقلت له في ذلك وأنكرت عليه إعراضه عنه فقال لي: إن الزبير فيه جهل وتسرع، فأشر عليه أن يستعطف العلويين، ويزيل ما في نفوسهم، والله على مثل ذلك أوافقه ولا أقدر أذكرهم عنده بقبيح، فقل له ذلك حتى يرجع عن الذي هو عليه من ذمهم)[1].

ومن كان هذا حاله من العلويين، ومعروف لدى الناس بذمهم، فضلاً عن

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٦، ص٥٢٦.

إقرار عمه مصعب بأنه جاهل ومتسرع كيف لا يدعي بأن حكيم بن حزام قد ولد في جوف الكعبة نكاية بعلي بن أبي طالب عليه السلام.

٢. ذكره أحمد بن علي السليماني ـ صاحب كتاب العالم والمتعلم ـ في عداد من يضع الحديث؛ وقال ـ مرة ـ: منكر الحديث، وهو ما نقله الحافظ الذهبي في ميزانه، وغيره[١].

وهذه الرتبة وإن كان الذهبي قد حاول عدم الإقرار بها، إلا أنها تكشف حال الرجل عند غير الذهبي.

٣. وقد حدث الشيخ الصدوق عن أحمد بن محمد بن إسحاق الخراساني قال: سمعت علي بن محمد النوفلي يقول: استحلف الزبير بن بكار رجل من الطالبيين على شيء بين القبر والمنبر، فحلف فبرص، فانا رأيته وبساقيه وقدميه برص كثير.

وكان أبوه بكار قد ظلم الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في شيء فدعا عليه، فسقط في وقت دعائه عليه حجر من قصر فاندقت عنقه.

وأما أبوه عبد الله بن مصعب فإنه مزق عهد يحيى بن عبد الله بن الحسن وأهانه بين يدي الرشيد وقال: أقتله يا أمير المؤمنين فإنه لا أمان له، فقال يحيى للرشيد: إنّه خرج مع أخي بالأمس ـ وأنشد أشعاراً له ـ فأنكرها، فحلّفه يحيى بالبراءة وتعجيل العقوبة، فحم من وقته، ومات بعد ثلاثة، وانخسف قبره مرات كثيرة)[٢].

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي: ج٢، ص٦٦؛ الكشف الحثيث لسبط ابن العجمي: ص١١٩.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١، ص٢٤٤.

٤. ولم يكن عداء الزبير بن بكار للعلويين، واتهامه لهم، ومحاربتهم، أن يمر من دون عقاب دنيوي يكشف عن سوء العاقبة، فقد ذكر الخطيب البغدادي، والحافظ المزي، والسمعاني:

(إنّ سبب وفاته أن وقع من فوق سطحه فمكث يومين لا يتكلم ومات)[1].

أما حال عمه مصعب بن عبد الله الذي نسب إليه مدعى ولادة حكيم بن حزام في جوف الكعبة فقد قال ابن الأثير الجزري في بيان حاله مع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه قال:

(وهو عم الزبير بن بكار، وكان عالماً فقيهاً، إلا أنه كان منحرفاً عن علي عليه السلام)[2].

ومن كان منحرفاً عن علي بن أبي طالب عليه السلام الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حبّه علامة الإيمان؛ وبغضَه علامة النفاق، كيف لا يتقول الأكاذيب في شأن علي عليه السلام، وما قوله في ولادة حكيم بن حزام في جوف الكعبة إلا واحد من تلك البدع التي نال بها من العلويين.

إذن: لم يكن لولادة حكيم بن حزام في جوف الكعبة أيّ حقيقة وإنما هي دعوى باطلة انطلقت من فم امرئ عُرف هو وآبائه بعدائهم الشديد لعترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومجاهرتهم بالنفاق من خلال بغضهم لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وهذا أولاً.

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج٨، ص٤٧٢؛ تهذيب الكمال للمزي: ج٩، ص٢٩٦؛ الأنساب للسمعاني: ج٣، ص١٣٧.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٧، ص٥٧.

ثانياً: كيف لم نجد في كتب التاريخ والحديث والتفسير والأدب رواية واحدة تنص على أنّ حكيم بن حزام قد صرح بولادته في الكعبة على الرغم من أنه عاش مائة وعشرين سنة نصفها في الجاهلية ونصفها في الإسلام بل لم يرد عن أي امرئ من بنيه أو أخوته أو أخواته ذكر لهذه الحادثة سوى عن الزبير بن بكار وعم أبيه مصعب بعد مرور أكثر من ثلاثمائة سنة على ولادة حكيم بن حزام وذلك أن حكيم ولد ـ وبحسب قوله ـ سنة ١٣ قبل عام الفيل، والزبير بن بكار توفي سنة (٢٥٦هـ)[1]، إنها من عجائب الدنيا السبعة وعجائب أدبيات المنافقين.

وثالثاً: إن المناقب تعد مناقب عند أهلها، أما من لا يجد لله ورسوله حرمة فلا منقبة لديه فيما يرتبط بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وكأننا في هذه الحالة نقول للمسيحيين في العالم وغيرهم إن من المناقب التي خصكم الله بها أن جعل الله تعالى مكة قبلة للمصلين. فسرعان ما يقولون أي مصلين هؤلاء وأي قبلة تلك، إنما المناقب عندنا محصورة ببيت المقدس وبالسيدة العذراء وابنها عليهما السلام وبالقساوسة والكنائس.

والحال نفسه عند الأمويين والزبيريين فالمناقب عندهم محصورة في سادات الجاهلية وتجارة العبيد والتحكم في سوق النساء والخمور والسطو والقتل ومحاربة علي وفاطمة والحسن والحسين الذين في محاربتهم محاربة لجدهم فهو المقصود من ذلك، أما أن يولد أحدهم في جوف الكعبة فهذا آخر همهم.

رابعاً: إنّ الولادة في جوف الكعبة هي منقبة عند أهل الكعبة لأنهم يدركون

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج٨، ص٤٧٢. تهذيب الكمال للمزي: ج٩، ص٢٩٦.

حرمتها ويعظمون حقها ويجلون شأنها وليس عند الأمويين والزبيرين والنواصب والوهابيين، والشواهد على تعظيم الكعبة عند بني هاشم وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم كثيرة، فمنها:

١. قال إبراهيم الخليل عليه السلام حينما أنزل أهله عند الكعبة (أعزها الله):

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾[1].

فإبراهيم عليه السلام هو الذي يعظم البيت ويدرك حرمته وليس بنو أمية وحجاجهم الثقفي ولا الزبيريون وقتالهم في الكعبة.

٢. إن إبراهيم عليه السلام هو الذي قدم ولده فداء لإقامة البيت الحرام فتلك هي المنقبة العظمى، وليس حزام بن حكيم الذي كان من الطلقاء ومن أشد المحاربين لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

٣. إن عبد المطلب هو من تبع أباه إبراهيم في فداء البيت الحرام فنذر أحد أبنائه لبيت الله الحرام فكان ولده عبد الله الذي خصه الله بـ(محمد صلى الله عليه وآله وسلم) ليكون ابن الذبيحين.

٤ . إنّ عبد المطلب هو من يعتقد بحرمة البيت الحرام وإنّ له شأناً عند الله تعالى ولذلك قال لأبرهة الحبشي (إنّ للبيت ربّاً يحميه) ولكرامة البيت وحرمته ونصرته ونصرة شيخ الأبطح الذي يؤمن برب البيت وأنه هو الذي سيتكفل بحمايته فقد أرسل الله طير الأبابيل كما ينص عليه القرآن الكريم في سورة الفيل.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

٥ . أما عند أبي طالب (رضوان الله تعالى عليه) فيبدو ذلك جلياً لا يحتاج إلى دليل، ويكفي من الشواهد على ذلك ما قاله في خطبة خديجة عليها السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضلاً عن وصيته لقريش وبني هاشم عند وفاته.

أ . فأمّا في خطبة خديجة فقال: «الحمد لرب هذا البيت الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل وأنزلنا حرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه..»[١].

ب . وأما في وصيته قبل وفاته فقال: «ما معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب، فيكم السيد المطاع وفيكم المقدام الشجاع الواسع البائع.. ـ إلى أن يقول ـ وإنّي أوصيكم بتعظيم هذه البنية (يعني الكعبة)؛ فإنّ فيها مرضاة للرب، وقواماً للمعاش، وثباتاً للوطاة...»[٢].

٤ . خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة خير دليل على تعظيم أهل البيت عليهم السلام لبيت الله الحرام وهو القائل:

«ولأن أقتل وبيني وبين الحرم باع أحب إلي من أن أقتل وبيني وبينه شبر، ولأن أقتل بالطف أحب إلي من أن أقتل بالحرم»[٣].

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني: ص١٥٣. الفايق في غريب الحديث للزمخشري: ج١، ص٢٧٦. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٤، ص٧٠. تفسير الآلوسي: ج١٨، ص٥١.

(٢) الروض الأنف، للسهيلي: ج١، ص٢٥٩. المواهب اللدنية، للقسطلاني: ج١، ص٧٢. تاريخ الخميس: ج١، ص٣٣٩. الغدير للعلامة الأميني: ج٧، ص٣٦٦. جواهر المطالب لابن الدمشقي: ص٢٢.

(٣) كامل الزيارات لابن قولويه: ص١٥١.



المبحث الخامس

أمر الولادة في جوف الكعبة أهو بيد الإنسان أم بيد الله تعالى؟

بقي لنا في البحث هذا السؤال: الولادة في جوف الكعبة أهي بيد فاختة بنت زهير بن أسد[1] حينما كانت حاملاً بحكيم بن حزام، أم هي بيد فاطمة بنت أسد وهي حامل بعلي بن أبي طالب عليه السلام، أم هي بيد الله تعالى؟

بالطبع: أن الأمر بيد الله تعالى، لاسيما ونحن نتحدث عن حدث وقع في زمن لم يكن للتقنية الطبية والتكنولوجيا أي حظور، ومن ثَمَّ تنعدم امكانية اختيار فاختة بنت زهير أو فاطمة بنت أسد (رضي الله عنها) المكان الذي ستلد كلٌّ منهما مولودها فيه.

ولذلك: الأمر بيد الله تعالى حتى مع التقدم العلمي والبحث في المجالات كافة فمن يضمن أن تتم الولادة ومن يضم بقاء الأم على قيد الحياة، ومن يضمن تكوين الجنين من الأصل، فالأمر لله من قبل ومن بعد.

ومن هنا:

حينما يكون الأمر كله لله تعالى فالسؤال المطروح: ما هي الخصوصية التي كانت لحكيم بن حزام عند الله تعالى كي يقدّر لفاختة بنت زهير الذهاب إلى بيته

(١) المستدرك للحاكم: ج٣، ص٤٨٣.

وحرمه ويضرب في أحشائها المخاض كي تلد حكيم بن حزام.

فها هو التاريخ يظهر لنا خصوصية حكيم بن حزام:

١. امضى ستين سنة من عمره وهو يعبد الأصنام ويشرك بالله تعالى.

٢. تأخر إسلامه إلى عام الفتح حينما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة.

٣. إنه من الطلقاء الذين شملهم عفو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٤. انه من المؤلفة قلوبهم كأبي سفيان وولده معاوية وغيرهم، فهؤلاء كان يعطيهم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أموالاً كي يستعطف قلوبهم ويكفوا شرهم عن الإسلام فلا يحيكون له الدسائس.

٥. اعتزاله الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والقعود عن نصرته، وهو ميزان الإيمان والنفاق ولذا:

أين الخصوصية لحكيم بن حزام كي يخصه الله بالولادة في بيته وحرمه؟

ولكن إن عكسنا السؤال في الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وبحثنا عن الخصوصية التي له في الإسلام فهل نجد أنّ رجلاً جمع من الخصائص والمناقب والمآثر ما جمعه علي بن أبي طالب عليه السلام، وهل إمكانية منحه هذه (المنقبة) كما يقول الذهبي تتناسب مع اختيار الله تعالى للكعبة المشرفة محلاً لنزول علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الدنيا أم أن ذلك لا يتناسب؟!.

سؤال جوابه لمن كان لديه أقل درجات الإنصاف يكون: بنعم، إلاّ من كان في قلبه مرض أمّا من طهرت قلوبهم فإننا نضع بين يديهم هذه المسائل.

المسألة الأولى: ما هي الحكمة في ولادة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في جوف الكعبة؟

من البديهي أن يكون لولادة الإمام علي عليه السلام في جوف الكعبة حكمة خاصة تنسجم مع ما للبيت الحرام وعلي بن أبي طالب عليه السلام من خصائص لاسيما ونحن نؤمن بأن الأمر كله لله تعالى، وهو العزيز الحكيم.

ولذلك:

يمكن أن نقف على بعض وجوه الحكمة في ولادة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في ضوء القرآن والسنة المطهرة.

أولاً: للتلازم بين الكعبة وعلي بن أبي طالب عليه السلام ودليلهُ القرآني

إنّ خير دال على التلازم بين الكعبة (أعزها الله تعالى) وعلي بن أبي طالب عليه السلام هو ما كشفه مقيم البيت وبانيه، أي: إبراهيم الخليل عليه السلام.

قال تعالى عن لسان عبده إبراهيم:

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾[1].

هنا:

يُظهر إبراهيم عليه السلام العلاقة بين البيت الحرام وذريته، ويدل في الوقت نفسه على العلة التي أوجبت تكوين هذه العلاقة، والغاية من الحضور، ألا وهي: الصلاة.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

وإقامة الصلاة مرهونة بذرية إبراهيم ؛ بمعنى بناء الصلاة وتقويمها هو من اختصاص ذرية إبراهيم عليه السلام فكان البناء من مرحلتين :

المرحلة الأولى

بناء بيت الله الحرام كي يتوجه المصلون إليه في صلاتهم. والذي بعدم تحققه أي التوجه للقبلة ، تبطل الصلاة بإجماع فقهاء المسلمين. فكان إبراهيم وولده إسماعيل هما من أقاما القواعد والبناء في المرحلة الأولى.

المرحلة الثانية

كانت الإقامة للصلاة بعد أن بُني البيت الحرام ، وهذا مرهون بذرية إبراهيم.

﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾.

لذا كانت الكعبة محل التوجه للصلاة وكان علي بن أبي طالب عليه السلام إمام الإقامة.

ولكن لماذا علي دون النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

لأن علياً هو الفيصل الذي تتكشف به حقائق الأعمال فأما كفر ونفاق ، وأما إيمان وتقوى أي به تتحدد الصلاة فأما تكون مقبولة وأما مردودة بدلالة قوله صلى الله عليه وآله وسلم :

«**لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق**».

والمنافق لا تزيده صلاته إلا بعداً عن الله تعالى.

بمعنى آخر : لا تقام الصلاة من دون البيت الحرام ولا تقام أيضاً من دون ذرية إبراهيم عليهم السلام وهم الإمام علي والأئمة من ولده عليهم السلام.

ثانياً: للتشابه بين الإمام والبيت الحرام في العلاقة مع الناس

فالإمام لا يأتي إلى الناس وإنما الناس هم الذين يأتون إليه، حاله في ذلك حال الكعبة، فالناس هم الذين يأتون إلى الكعبة وليس العكس، وهو ما دلّ عليه الحديث النبوي الشريف.

فعن علي عليه السلام وهو يحاجج أبا بكر في حقه المغصوب، وقد قال له أبو بكر: «...، وأنت لم تزل يا أبا الحسن مقيماً على خلافي والاجتراء على أصحابي، وقد تركناك فاتركنا، ولا تردنا فيرد عليك منا ما يوحشك ويزيدك تنويماً إلى تنويمك.

فقال عليه السلام:

لقد أوحشني الله منك ومن جمعك، وآنس بي كل مستوحش، وأما ابن الوليد الخاسر، فإني أقص عليك نبأه، انه لما رأى تكاثف جنوده وكثرة جمعه زها في نفسه، فأراد الوضع مني في موضع رفع ومحل ذي جمع، ليصول بذلك عند أهل الجمع، فوضعت عنه عندما خطر بباله، وهم بي وهو عارف بي حق معرفته، وما كان الله ليرضى بفعله.

فقال له أبو بكر: فنضيف هذا إلى تقاعدك عن نصرة الإسلام، وقلة رغبتك في الجهاد، فبهذا أمرك الله ورسوله، أم عن نفسك تفعل هذا؟! فقال علي عليه السلام:

يا أبا بكر! وعلى مثلي يتفقه الجاهلون؟ إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمركم ببيعتي، وفرض عليكم طاعتي، وجعلني فيكم كبيت الله الحرام يؤتى ولا يأتي، فقال: يا علي! ستغدر بك أمتي من بعدي كما

غدرت الأمم بعد مضي الأنبياء بأوصيائها إلا قليل، وسيكون لك ولهم بعدي هناة وهناة، فاصبر، أنت كبيت الله: من دخله كان آمنا ومن رغب عنه كان كافراً، قال الله عز وجل:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾.

واني وأنت سواء إلا النبوة، فإني خاتم النبيين وأنت خاتم الوصيين[1].

ثالثا: لتحقق الأمان في الالتجاء للبيت الحرام والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

فمثلما يتحقق الأمان في البيت الحرام حينما يلتجئ إليه الإنسان.

﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾.

كذلك حال من يلتجئ إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه يحصل على الأمان من الهلاك والضلال والوقوع في الفتن والفوز في الآخرة؛ لأنه استمسك بالعروة الوثقى، وأخذ بالصراط المستقيم وكان في زمرة الصالحين كعمار بن ياسر وأبي ذر الغفاري وغيرهما وهو ما دل عليه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام:

«أنت كبيت الله، من دخله كان آمنا، ومن رغب عنه كان كافراً»[2].

فهذا حال البيت الحرام وحال علي عليه السلام.

رابعا: للتلازم فيما بين الإمامة والإقامة

إنّ نكران البعض لإمامة علي بن أبي طالب عليه السلام لا يضر في إمامة

---

(١) البحار للمجلسي: ج٢٩، ص١٧٠ ـ ١٧١.

(٢) المصدر نفسه.

علي عليه السلام شيئاً حاله حال من أنكر الكعبة والإقامة نحوها في الصلاة فان ذلك لا يضر الكعبة شيئاً كما لا يفقدها خصوصيتها فضلاً عن حال صلاة المنكر لها، فهل تكون هذه الصلاة مقبولة بغير التوجه للكعبة؟ وهل تقام صلاة الجماعة من دون إمام؟!

فكذا من أنكر إمامة علي عليه السلام أو أحد أبنائه الأئمة الاثني عشر فان المنكر للإمامة لا يضرها شيئاً كما لا يضر المنكر للبيت الحرام شيئاً بل إنّه سيموت ميتة جاهلية لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية»[١].

ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من مات وليس عليه إمام مات ميتة جاهلية»[٢].

ولقول الأئمة كما روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

«من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»[٣].

خامساً: للاعتبار من حياة علي بن أبي طالب عليه السلام

فهذه الحياة اختار الله لها أن تبدأ في أول ثانية منها في بيت الله الحرام وأن تنتهي آخر ثانية منها في بيت الله أيضاً وما بينهما كله لله تعالى. فمثل هذه الحياة لخير واعض لبني آدم فكيف بأهل هذه الملة.

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج٤، ص٩٦. مسند أبي داود: ص٢٥٩.

(٢) كتاب السنة لعمرو بن أبي عاصم: ص٤٨٩. مسند أبي يعلى الموصلي: ج١٣، ص٣٦٦. المعجم الأوسط للطبراني: ج٦، ص٧٠.

(٣) كفاية الأثر للخزاز القمي: ص٢٩٦.

سادساً: للتلازم بين الآذان ودوران الأرض والإمامة

إن من عجائب لطف الله تعالى وجليل حكمته أن جعل الكعبة (أعزها الله تعالى) فوق نواة دوران الأرض بمحورها الشاقولي لتكون مركزاً لدوران الأرض ومن ثم مركزاً لحركة الشمس حينما تتوالى أشعة الشمس في سقوطها على الأرض لتنظَّم بذلك حركة مواقيت الصلاة وليعلو الأذان على سطح الأرض فتخرق كلمات المؤذن حجب السماء.

فما بين كل خط عرض وعرض تستغرق حركة الأرض خمس دقائق مما يعطي حركة تلازمية بين صوت الآذان وأداء الفريضة وحركة دوران الشمس حول نفسها ليتعاقب عندها الليل والنهار ولتشهد الأرض في هذا الدوران تتابعاً في أداء الصلاة وذلك بحسب حركة الأرض.

وحينما نعود لقول إبراهيم عليه السلام في بنائه للبيت وبيان الحكمة في إنزال من ذريته وهو:

﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[1].

ندرك أن الإقامة لا يمكن أن تتحقق من دون الإمام.

ولكن ليس كل إمام، وإنما الإمام الذي ارتضاه الله تعالى واصطفاه لنفسه وللصلاة في عباده.

قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾[1].

لذا: كان إبراهيم يسأل الله من فضله بأن يجعله إماماً.

قال تعالى:

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

فليس كل ذرية إبراهيم اصطفاها الله تعالى للإمامة ولإقامة الصلاة.

ولذلك:

لم يكن دخول فاطمة بنت أسد للكعبة التي هي محل توجه المصلي لربه في صلاته عبثاً؛ وإنما ساقها رب البيت لتضع فيها إمام الصلاة ومقيمها، ولذلك لا يغفل قلب المعصوم عن ذكر ربه، وبه يثبت الدوران وبه وبالبيت الحرام يتلازم التوجه لرب البيت في كل صلاة ودعوة أذان فهو نواة الشريعة.

ولعل متوهم يقول: فأين النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

قلنا:

إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الشريعة؛ ولولا الشريعة لما عرفت النواة، ولم يكن للنواة حاجة؛ ولولا النواة لما دامت الشريعة حالها في ذلك حال جميع دقائق النظام الإلهي الذي جعله في الكون ابتداءً من الخلية وانتهاءً بالمجرات الكونية.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

المسألة الثانية: ما يدل من الأحاديث على ثبوت ولادة الإمام علي عليه السلام في جوف الكعبة

ربما يكون إيراد الأحاديث الدالة على ولادة الإمام علي عليه السلام في جوف الكعبة تحصيل حاصل بعد هذه الجولة من الاستدلالات النقلية والعقلية.

إلا أنني أحببت أن أورد بعض هذه الأحاديث كي نقطع الطريق على من ظل يماطل في الإذعان لهذه الحقيقة.

أولاً: ما ورد في كتب أتباع مدرسة الصحابة

قبل البدء في إيراد هذه الأقوال كان لزاماً علينا أن نورد أولاً ما ورد عن العترة النبوية عليهم السلام إذ المتقدم عليهم مارق والمتخلف عنهم غارق لكن ابتدأنا بمحدثي مدرسة الصحابة كي نقطع الطريق على المعاندين وليكون ختامه مسك في ذكر روايات أهل البيت عليهم السلام.

١ . الحاكم النيسابوري (صاحب المستدرك)، فقد رد على مصعب بن عبد الله حينما نسب الولادة في جوف الكعبة إلى فاختة بنت زهير بن أسد حينما كانت حاملاً بولدها حكيم، إذ قال: (وهم مصعب ـ أي توهم ـ فقد تواترت الأخبار: إنّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة)[١].

إذن: الثابت الذي عليه حد التواتر عند المحدثين هو ولادة علي بن أبي طالب عليه السلام في الكعبة وليس كما يزعم ابن أبي الحديد والحافظ النووي ومسلم

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم: ج٣، ص٤٨٢.

النيسابوري وغيرهم بأن ذلك من قول الشيعة.

٢ . قال الزرندي الشافعي (المتوفى عام ٧٥٠ هـ) : (وولد كرم الله وجهه في جوف الكعبة، يوم الجمعة الثالث عشر من رجب قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة على المشهور)[١].

٣ . قال ابن الصباغ المالكي نقلاً عن أبي المعالي الفقيه المالكي وقد روى خبراً يرفعه إلى علي بن الحسين ـ عليهما السلام ـ أنه قال:

(كنا عند علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ في بعض الأيام وإذا بنسوة مجتمعين فأقبلت امرأة منهن علينا فقلت لها:

من أنت يرحمك الله؟

قالت: أنا زيدة ابنة العجلان من بني ساعدة، فقلت لها:

هل عندكِ من شيء تحدثينا به؟

قالت: أي والله حدثتني أم عمارة بنت عبادة بن فضلة بن مالك بن عجلان الساعدي أنها كانت ذات يوم في نساء من العرب إذ أقبل أبو طالب كئيباً حزيناً، فقلت له ما شأنك؟

قال: إن فاطمة بنت أسد في شدة من الطلق. ثم أخذ بيدها وجاء بها إلى الكعبة فدخل بها، وقال: اجلسي على اسم الله، فطلقت طلقة واحدة فولدت غلاماً نظيفاً منظفاً لم أر أحسن وجهاً منه، فسماه أبو طالب علياً وقال شعراً:

---

(١) معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للزرندي الشافعي: ص٥٧.

سـميته بعلـي كـي يـدوم لـه   عـز العلـو وفخـر العـز أدومـه

وجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فحمله معه إلى منزل أمه.

قال علي بن الحسين:

فوالله ما سمعت بشيء حسن قط، إلا وهذا من أحسنه»)[١].

٤ . روى الحافظ الكنجي الشافعي في كفايته قائلاً: عن جابر بن عبد الله قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ميلاد علي بن أبي طالب، فقال:

«لقد سألتني عن خير مولود ولد في شبيه المسيح عليه السلام إن الله تبارك وتعالى خلق علياً من نوري وخلقني من نوره وكلانا من نور واحد، ثم إن الله عز وجل نقلنا من صلب آدم عليه السلام في أصلاب طاهرة إلى أرحام زكية فما نقلت من صلب إلا ونقل علي معي فلم نزل كذلك حتى استودعني خير رحم وهي آمنة، واستودع عليا خير رحم وهي فاطمة بنت أسد، وكان في زماننا رجل زاهد عابد يقال له المبرم بن دعيب بن الشقبان قد عبد الله تعالى مائتين وسبعين سنة لم يسأل الله حاجة فبعث الله إليه أبا طالب فلما أبصره المبرم قام إليه وقبل رأسه وأجلسه بين يديه ثم قال له:

من أنت؟

فقال: رجل من تهامة.

فقال: من أي تهامة؟

فقال: من بني هاشم.

---

(١) العقول المهمة لابن الصباغ المالكي: ج١، ص١٧٥؛ كشف الغمة للأربلي: ج١، ص٦٠.

فوثب العابد فقبل رأسه ثم قال:

يا هذا إن العلي الأعلى ألهمني إلهاماً.

قال أبو طالب: وما هو؟ قال:

ولد يولد من ظهرك وهو ولي الله عز وجل، فلما كان الليلة التي ولد فيها علي أشرقت الأرض فخرج أبو طالب وهو يقول:

أيها الناس ولد في الكعبة ولي الله فلما أصبح دخل الكعبة وهو يقول:

يا رب هذا الغسق الدجيّ   والقمر المنبلج المضيّ

بَيّن لنا من أمرك الخفي   ماذا ترى في اسم ذا الصبي؟

قال: فسمع صوت هاتف يقول:

يا أهل بيت المصطفى النبي   خصصتمُ بالولد الزكي

إن اسمه من شامخ العلي   علي اشتق من العلي

أخرجه الحافظ الكنجي الشافعي في كفاية الطالب ص ٢٦٠ وقال: تفرد به مسلم بن خالد الزنجي وهو شيخ الشافعي، وتفرد به عن الزنجي عبد العزيز بن عبد الصمد وهو معروف عندنا)[١].

ثانياً: ما ورد في كتب أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام

أما ما روي عن علماء الشيعة ومحدثيهم فهو كالآتي:

وسنورد قصار الأقوال ونختم بالأحاديث الطويلة إتماماً للفائدة.

١ـ قال الشريف الرضي (المتوفى سنة ٤٠٦):

(ولا نعلم مولود ولد في الكعبة غيره)[٢].

(١) الغدير للعلامة الأميني: ج٧، ص٣٤٧، نقلاً عن كفاية الطالب للكنجي: ص٢٦٠.

(٢) خصائص الأئمة: ص٣٩.

٢ـ قال ابن شهر آشوب المازندراني (المتوفى سنة ٥٨٨هـ):

(ولد في الكعبة، وربى في دار خديجة)[١].

٣ـ قال الفتال النيسابوري (المتوفى سنة ٥٠٨هـ):

(إن علي بن أبي طالب ولد في الكعبة، وفي ذلك يقول السيد الحميري:

ولدته في حرم الإله أمه	**والبيت حيث فناؤه والمسجد**
بيضاء طاهرة الثياب كريمة	**طابت وطاب وليدها والمولد**
في ليلة غابت نحوس نجومها	**وبدت مع القمر المنير الأسعد**
ما لف في خرق القوابل مثله	**إلا ابن آمنة النبي محمد**[٢]

٤ـ قال السيد ابن طاووس[٣] (المتوفى سنة ٦٦٤هـ)، والشهيد الأول[٤] (المتوفى سنة ٧٨٦هـ)، ومحمد بن المشهدي[٥] (المتوفى سنة ٦١٠هـ)، في زيارته عليه السلام:

(السلام عليك يا من ولد في الكعبة).

٥ـ روى المجلسي المتوفى سنة (١١١١هـ): «عن كتاب العلل لمحمد بن علي بن إبراهيم: علة فضيلة أمير المؤمنين لم تكن لأحد قبله ولا بعده، (أنه ولد في الكعبة)»[٦].

---

(١) المناقب: ج٢، ص٤٥.

(٢) روضة الواعظين: ص٨١.

(٣) إقبال الأعمال: ج٣، ص١٣١.

(٤) المزار: ص٩١.

(٥) المزار: ص٢٠٧.

(٦) البحار: ج٩٦، ص٣٧٠.

٦ــ روى ابن أبي الفتح الأربلي (المتوفى سنة ٦٩٣هـ) عن كتاب بشاير المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم مرفوع إلى يزيد بن قعنب قال:

(كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وفريق من بني عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام وكانت حاملاً به لتسعة أشهر وقد أخذها الطلق فقالت:

يا رب إني مؤمنة بك، وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدّقة بكلام جدي إبراهيم الخليل عليه السلام، وإنه بنى البيت العتيق فبحق الذي بنى هذا البيت والمولود الذي في بطني إلا ما يسرت علي ولادتي قال يزيد بن قعنب: فرأيت البيت قد انشق عن ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا وعاد إلى حاله، فرحنا أن ينفتح لنا قفل الباب! فلم ينفتح فعلما أنّ ذلك من أمر الله تعالى، ثم خرجت في اليوم الرابع وعلى يدها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم قالت:

إني فضلت على من تقدمني من النساء لأن آسيا بنت مزاحم عبدت الله سراً في موضع لا يحب الله أن يعبد فيه إلا اضطراراً، وأن مريم بنت عمران حضرت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطباً جنياً، وإني دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف وقال: يا فاطمة سميه علياً، فهو علي، والله العلي الأعلى، يقول: اشتققت اسمه من اسمي، وأدبته بأدبي، وأوقفته على غامض علمي، وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي، ويقدسني ويمجدني، فطوبى لمن أحبه

وأطاعه وويل لمن أبغضه وعصاه.

قالت: فولدت علياً ولرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثون سنة، فأحبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حباً شديداً وقال لها:

«اجعلي مهده بقرب فراشي».

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يلي أكثر تربيته، وكان يطهر علياً في وقت غسله، ويوجره اللبن عند شربه، ويحرك مهده عند نومه، ويناغيه في يقظته، ويحمله على صدره ورقبته، ويقول:

«هذا أخي وولي وناصري، وصفي، وذخري، وكهفي، ومهري، ووصيي، وزوج كريمتي، وأميني على وصيتي، وخليفتي».

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحمله دائماً ويطوف به جبال مكة وشجامها وأوديتها وفجاجها صلى الله على الحامل والمحمول)[١].

٧ ـ روى شاذان بن جبرئيل القمي (المتوفى سنة ٦٦٠هـ)

قال: (أخبرنا الشيخ الإمام العالم الورع الناقل ضياء الدين شيخ الإسلام أبو العلاء الحسن بن أحمد بن يحيى العطار الهمداني في همدان في مسجده في الثاني والعشرين من شعبان سنة ثلاث ثلاثين وستمائة، قال:

حدثنا الإمام ركن الدين أحمد بن محمد بن إسماعيل الفارسي، قال: حدثنا عمر بن روق الخطابي، قال: حدثنا الحجاج بن منهال عن الحسن بن عمران عن شاذان بن العلاء، قال: حدثنا عبد العزيز عن عبد الصمد عن سالم عن خالد بن

(١) كشف الغمة للأربلي: ج١، ص٦١-٦٢؛ الجواهر السنية للحر العاملي (باختصار): ص٢٣٠؛ شرح إحقاق الحق للمرعشي: ج٥، ص٥٧.

السري عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن ميلاد علي بن أبي طالب عليه السلام فقال:

«آه آه سألت عجبا يا جابر عن خير مولود ولد بعدي على سنة المسيح، إن الله تعالى خلقه نورا من نوري وخلقني نورا من نوره وكلانا من نور واحد وخلقنا من قبل أن يخلق سماء مبنية والأرض مدحية ولا كان طول ولا عرض ولا ظلمة ولا ضياء ولا بحر ولا هواء بخمسين ألف عام ثم إن الله عز وجل سبح نفسه فسبحناه وقدس ذاته فقدسناه ومجد عظمته فمجدناه فشكر الله تعالى ذلك لنا فخلق من تسبيحي السماء فمسكها والأرض فبطحها والبحار فعمقها وخلق من تسبيح علي الملائكة المقربين فجميع ما سبحت الملائكة لعلي وشيعته.

يا جابر إن الله تعالى عز وجل نسلنا فقذف بنا في صلب آدم عليه السلام فأما أنا فاستقررت في جانبه الأيمن وأما علي فاستقر في جانبه الأيسر ثم إن الله عز وجل نقلنا من صلب آدم عليه السلام في الأصلاب الطاهرة فما نقلني من صلب إلاّ نقل عليا معي فلم نزل كذلك حتى اطلعنا الله تعالى من ظهر طاهر وهو ظهر عبد المطلب ثم نقلني من ظهر طاهر وهو ظهر عبد الله واستودعني خير رحم وهي آمنة فلما ظهرت ارتجت الملائكة وضجت وقالت: إلهنا وسيدنا ما بال وليك علي لا نراه مع النور الأزهر يعنون بذلك محمداً فقال الله عز وجل: إني أعلم بولي وأشفق عليه منكم.

فاطلع الله عز وجل عليا من ظهر طاهر من بني هاشم فمن قبل أن يصير في الرحم كان رجل في ذلك الزمان وكان زاهداً عابداً يقال له المثرم بن زغيب الشيقبان وكان من أحد العباد قد عبد الله تعالى مأتين وسبعين سنة لم يسأله حاجة إلا أجابه إن الله عز وجل أسكن في قلبه الحكمة وألهمه بحسن طاعته لربه فسأل الله

تعالى أن يريه ولياً له فبعث الله تعالى أبا طالب فلما بصر به المثرم قام إليه وقبَّل رأسه وأجلسه بين يديه ثم قال له: من أنت يرحمك الله تعالى، فقام رجل من تهامة قال: أي تهامة؟ فقال: من عبد مناف، ثم قال من هاشم، فوثب العابد وقبَّل رأسه ثانية وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني وليه، ثم قال: ابشر يا هذا فان العلي الأعلى ألهمني إلهاما فيه بشارتك.

فقال أبو طالب: وما هو؟ قال ولد يولد من ظهرك هو ولي الله عز وجل إمام المتقين ووصي رسول رب العالمين فان أنت أدركت ذلك الولد من ظهرك فاقرأه مني السلام وقل له إن المثرم يقرأ عليك السلام ويقول اشهد ان لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله به تتم النبوة وبعلي تتم الوصية.

قال فبكى أبو طالب وقال: ما اسم هذا المولود؟ قال: اسمه علي، قال أبو طالب: إني لا أعلم حقيقة ما تقول إلا ببرهان مبين ودلالة واضحة، قال المثرم: ما تريد، قال: أريد أن أعلم ما تقوله حق من رب العالمين ألهمك ذلك، قال: فما تريد أن اسأل لك الله تعالى أن يطعمك في مكانك هذا؟ قال أبو طالب: أريد طعاماً من الجنة في وقتي هذا، قال: فدعا الراهب ربه.

قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

فما استتم المثرم الدعاء حتى أوتي بطبق عليه فاكهة من الجنة وعذق رطب وعنب ورمان فجاء به المثرم إلى أبي طالب فتناول منه رمانة ثم نهض من ساعته إلى فاطمة بنت أسد رضي الله عنها فلما استودعها النور ارتجت الأرض وتزلزلت بهم سبعة أيام حتى أصاب قريشا من ذلك شدة ففزعوا فقالوا مروا بآلهتكم إلى ذروة جبل أبي قبيس حتى نسألهم يسكنون لنا ما نزل بنا وحل بساحتنا قال: فلما اجتمعوا على جبل أبي قبيس وهو

يرتج ارتجاجا ويضطرب اضطرابا فتساقطت الآلهة على وجهها فلما نظروا ذلك قالوا: لا طاقة لنا.

ثم صعد أبو طالب الجبل وقال: لهم أيها الناس اعلموا أنّ الله تعالى عز وجل قد أحدث في هذه الليلة حادثا وخلق فيها خلقا فإن لم تطيعوه وتقروا له بالطاعة وتشهدوا له بالإمامة المستحقة وإلا لم يسكن ما بكم حتى لا يكون بتهامة سكن، قالوا: يا أبا طالب إنا نقول بمقالتك فبكى ورفع يديه وقال: إلهي وسيدي أسألك بالمحمدية المحمودة والعلوية العالية والفاطمية البيضاء إلا تفضلت على تهامة بالرأفة والرحمة.

قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

فوالله الذي خلق الحبة وبرأ النسمة قد كانت العرب تكتب هذه الكلمات فيدعون بها عند شدائدهم في الجاهلية وهي لا تعلمها ولا تعرف حقيقتها متى ولد علي بن أبي طالب عليه السلام فلما كان في الليلة التي ولد فيها عليه السلام أشرقت الأرض وتضاعفت النجوم فأبصرت من ذلك عجبا فصاح بعضهم في بعض وقالوا: إنه قد حدث في السماء حادث ألا ترون إشراق السماء وضياءها وتضاعف النجوم بها قال: فخرج أبو طالب وهو يتخلل سكك مكة ومواقها وأسواقها وهو يقول لهم: أيها الناس ولد الليلة في الكعبة حجة الله تعالى وولي الله فبقي الناس يسألونه عن علة ما يرون من إشراق السماء فقال لهم: أبشروا فقد ولد في هذه الليلة ولي من أولياء الله عز وجل يختم به جميع الشر ويتجنب الشرك والشبهات ولم يزل يذكر هذه الألفاظ حتى أصبح فدخل الكعبة وهو يقول هذه الأبيات:

يا رب رب الغسق الدجيّ — والقمر المنبلج المضيّ

بين لنا من حكمك المقضي — ماذا ترى لي في اسم ذا الصبي

فسمع هاتفا يقول:

خصـــصتما بالولـــد الزكـــي والطـــاهر المطهـــر المرضـــي

إن اســـمه مـــن شـــامخ علـــي علـــي اشـــتق مـــن العلـــي

فلما سمع هذا خرج من الكعبة وغاب عن قومه أربعين صباحا.

قال جابر فقلت يا رسول الله عليك السلام أين غاب؟ قال:

«مضى إلى المثرم ليبشره وان بمولد علي بن أبي طالب عليه السلام في جبل لكام فالله وجده حيا بشره وان وجده ميتا انذره.

فقال جابر: يا رسول الله فكيف يعرف قبره وكيف ينذره، فقال:

يا جابر اكتم ما تسمع فإنه من سرائر الله تعالى المكنونة وعلومه المخزونة إن المثرم كان قد وصف لأبي طالب كهفا في جبل لكام وقال له إنك تجدني هناك حيا أو ميتا، فلما ان مضى أبو طالب إلى ذلك الكهف ودخله فإذا هو بالمثرم ميتا جسده ملفوف في مدرعتين مسجى بهما وإذا بحيتين إحداهما أشد بياضا من القمر والأخرى أشد سواداً من الليل المظلم وهما يدفعان عنه الأذى فلما أبصرتا أبا طالب غابتا في الكهف فدخل أبو طالب وقال: السلام عليك يا ولي الله ورحمة الله وبركاته فأحيى الله تعالى بقدرته المثرم فقام قائما وهو يمسح وجهه وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وأن عليا ولي الله وهو الإمام من بعده.

ثم قال له المثرم: بشرني يا أبا طالب فقد كان قلبي متعلقا حتى من الله تعالى علي بك وبقدومك، فقال له أبو طالب: أبشر فإنّ علياً طلع إلى الأرض، قال: فما كان علامة الليلة التي ولد فيها، حدثني بأتم ما رأيت في تلك الليلة، قال أبو طالب: نعم أخبرك بما شاهدته، لما مر من الليل

الثلث أخذ فاطمة بنت أسد عليها السلام ما يأخذ النساء عند ولادتها فقرأت عليها الأسماء التي فيها النجاة فسكن بإذن الله تعالى فقلت لها: أنا آتيك بنسوة من أحبائك ليعينوك على أمرك، قالت: الرأي لك فاجتمعن النسوة عندها فإذا بهاتف يهتف من وراء البيت أمسك عنهن يا أبا طالب فان ولي الله لا تمسه إلا يد مطهرة.

فلم يتم الهاتف كلامه حتى أتى محمد بن عبد الله ابن أخي فطرد تلك النسوة وأخرجهن من البيت وإذا أنا بأربع نسوة قد دخلن عليها وعليهن ثياب من حرير بيض وإذا روايحهن أطيب من المسك الأذفر فقلن السلام عليك يا ولية الله فأجابتهن بذلك فجلسن بين يديها ومعهن جونة من فضة فما كان إلا قليلا حتى ولد أمير المؤمنين عليه السلام فلما إن ولد بينهن فإذا به قد طلع عليه السلام فسجد على الأرض وهو يقول: اشهد أن لا إله إلا الله وحدة لا شريك له واشهد أن محمداً رسول الله تختم به النبوة وتختم بي الوصية.

فأخذته إحداهن من الأرض ووضعته في حجرها فلما حملته نظر إلى وجهها ونادى بلسان طلق يقول: السلام عليك يا أماه، فقالت: وعليك السلام يا بني، فقال كيف والدي؟ قالت: في نعم الله عز وجل، فلما إن سمعت ذلك لم أتمالك أن قلت يا بني أو لست أنا أباك؟ فقال: بلى ولكن أنا وأنت من صلب آدم فهذه أمي حواء فلما سمعت ذلك غضضت وجهي ورأسي وغطيته بردائي وألقيت نفسي حياء منها عليها السلام ثم دنت أخرى ومعها جونة مملوءة من المسك فأخذت عليا عليه السلام فلما نظر إلى وجهها قال: السلام عليك يا أختي، فقالت وعليك السلام يا أخي، فقال: ما خبر عمي؟ قالت: بخير فهو يقرأ عليك السلام، فقلت: يا بني من هذى ومن عمك؟ فقال: هذه مريم ابنة عمران عليها السلام وعمي عيسى عليه السلام فضمخته بطيب كان معها من الجنة.

ثم أخذته أخرى فأدرجته في ثوب كان معها، فقال أبو طالب: لو طهرناه كان أخف عليه وذلك أن العرب تطهر مواليدها في يوم ولادتهم، فقلن إنه ولد طاهراً مطهراً لأنه لا يذيقه الله حر الحديد إلا على يدي رجل يبغضه الله تعالى وملائكته والسماوات والأرض والجبال وهو أشقى الأشقياء، فقلت لهن: من هو؟ قلن: هو عبد الله بن ملجم لعنه الله تعالى، وهو قاتله بالكوفة سنة ثلاثين من وفاة محمد صلى الله عليه وآله.

قال أبو طالب: فأنا كنت استمع قولهن، ثم أخذه محمد بن عبد الله أخي من أيديهن ووضع يده في يده وتكلم معه وسأله عن كل شيء فخاطب محمد صلى الله عليه وآله عليا وخاطب علي محمدا باسرار كانت بينهما.

ثم غابت النسوة فلم أرهن فقلت في نفسي ليتني كنت أعرف الامرأتين الآخرين وكان علي عليه السلام أعلم بذلك فسألته عنهن، فقال لي: يا أبت أما الأولى فكانت أمي حواء، وأما الثانية التي ضمختني بالطيب فكانت مريم ابنة عمران، وأما التي أدرجتني في الثوب فهي آسية، وأما صاحبة الجونة فكانت أم موسى عليه السلام.

ثم قال علي عليه السلام الحق بالمثرم يا أبا طالب وبشره وأخبره بما رأيت فإنك تجده في كهف كذا في موضع كذا وكذا، فلما فرغ من المناظرة مع محمد ابن أخي ومن مناظرته عاد إلى طفوليته الأولى فأنبأتك وأخبرتك ثم شرحت لك القصة بأسرها بما عاينت يا مثرم، قال أبو طالب: فلما سمع المثرم ذلك مني بكى بكاء شديداً في ذلك وفكر ساعة ثم سكن وتمطى ثم غطّى رأسه، وقال: بل غطني بفضل مدرعتي فغطيته بفضل مدرعته فتمدد فإذا هو ميت كما كان فأقمت عنده ثلاثة

أيام أكمله فلم يجبني فاستوحشت لذلك فخرجت الحيتان وقالتا الحق بولي الله فإنك أحق بصيانته وكفالته من غيرك.

فقلت لهما من أنتما قالتا نحن عمله الصالح خلقنا الله عز وجل على الصورة التي ترى لنذب عند الأذى ليلاً ونهاراً إلى يوم القيامة فإذا قامت الساعة كانت إحدانا قائدته والأخرى سائقته ودليلته إلى الجنة. ثم انصرف أبو طالب إلى مكة.

قال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

شرحت لك ما سألتني ووجب عليك له الحفظ فان لعلي عند الله من المنزلة الجليلة والعطايا الجزيلة ما لم يعط أحد من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين وحبه واجب على كل مسلم فإنه قسيم الجنة والنار ولا يجوز أحد على الصراط إلا ببراءة من أعداء علي عليه السلام)[1].

فهذه هي حقيقة ولادة الإمام علي عليه السلام في جوف الكعبة وبها يتضح معنى اختيار الله تعالى بيته الحرام في أن يكون محلاً لدخول فاطمة بنت أسد لتلد فيه خاتم الأوصياء وأبو الأئمة النجباء الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾.

السيد نبيل قدوري حسن علوان الحسني

---

(١) الفضائل لابن شاذان: ص٥٤ ـ ٥٩.

المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. الاحتجاج / الشيخ أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي / تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري / الطبعة السادسة / نشر: دار الأسوة للطباعة والنشر / سنة الطبع: ١٤٢٥هـ / قم المقدسة.

٣. الأدب المفرد / محمد بن إسماعيل البخاري / تحقيق: محمد عبد القادر عطا / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتب العلمية / بيروت.

٤. الإرشاد / الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان / تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / الطبعة الأولى / نشر: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد / سنة الطبع: ١٤١٣هـ / قم المقدسة.

٥. الاستيعاب في معرفة الأصحاب / يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي / تحقيق: علي محمد البجاوي / الطبعة الأولى / سنة نشر: دار الجيل / سنة الطبع: ١٤١٢هـ / بيروت.

٦. أسد الغابة في معرفة الصحابة / عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري / تحقيق: مجموعة من المحققين / الطبعة الثانية / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤٢٤هـ / بيروت.

٧. الإصابة في تمييز الصحابة / ابن حجر العسقلاني / تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤١٥هـ / بيروت.

٨. أصول الكافي / الشيخ محمد بن يعقوب الكليني / الطبعة الخامسة / نشر: دار الأسوة للطباعة والنشر / سنة الطبع: ١٤٢٥هـ / قم المقدسة.

٩. الأغاني / أبو الفرج الأصفهاني / تحقيق: عبد الله علي مهنا / الطبعة الرابعة / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤٢٢هـ / بيروت.

١٠. إقبال الأعمال / أبو القاسم بن جعفر بن محمد بن طاووس / تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / سنة الطبع: ١٤١٧هـ / بيروت.

١١. الأنساب / أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني / تحقيق: محمد عبد القادر عطا / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤١٩هـ / بيروت.

١٢. أنساب الأشراف / البلاذري / تحقيق: محمود الفردوس العظم / الطبعة الأولى / نشر: دار اليقظة العربية / سنة الطبع: ١٩٩٧م / دمشق.

١٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار / العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي / الطبعة الثانية المصححة / نشر: مؤسسة الوفاء / سنة الطبع: ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م / بيروت.

١٤. البداية والنهاية / ابن كثير / تحقيق وتدقيق وتعليق: علي شيري / الطبعة الأولى / نشر: دار إحياء التراث العربي / سنة الطبع: ١٤٠٨هـ، ١٩٩٨م / بيروت.

١٥. تاريخ الإسلام / محمد بن أحمد الذهبي / تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتاب العربي / سنة الطبع: ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م / بيروت.

١٦. تاريخ الطبري / أبي جعفر محمد بن جرير الطبري / تحقيق: نواف الجراح / الطبعة الأولى / نشر: دار ومكتبة الهلال / سنة الطبع: ١٤٢٤هـ.

١٧. تاريخ المدينة المنورة / أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري / تحقيق: فهيم محمد شلتوت / الطبعة الأولى / نشر: دار التراث الإسلامي / سنة الطبع: ١٤١٠هـ / بيروت.

١٨. تاريخ اليعقوبي / أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي / نشر: دار صادر / بيروت.

١٩. تاريخ بغداد / أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي / تحقيق: صدقي جميل العطار / الطبعة الأولى / نشر: دار الفكر / سنة الطبع: ١٤٢٤هـ / بيروت.

٢٠. تاريخ خليفة بن خياط / أبو عمر خليفة بن خياط أبي هبيرة الليثي العصفري / تحقيق:

د. مصطفى مجيب فواز / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤١٥هـ / بيروت.

٢١. تاريخ مدينة دمشق الكبير / ابن عساكر / تحقيق: أبي عبد الله علي عاشور الجنوبي / الطبعة الأولى / نشر: دار إحياء التراث العربي / سنة الطبع: ١٤٢١هـ / بيروت.

٢٢. تفسير البغوي / أبو محمد الحسين البغوي الشافعي / تحقيق: عبد الرزاق المهدي / الطبعة الثانية / نشر: دار إحياء التراث العربي / سنة الطبع: ١٤٢٣هـ / بيروت.

٢٣. تهذيب التهذيب / ابن حجر العسقلاني / الطبعة الأولى / نشر: دار صادر / سنة الطبع: ١٣٢٥هـ / بيروت.

٢٤. تهذيب الكمال / أبو الحجاج جمال الدين المزي / تحقيق وضبط وتعليق: الدكتور بشار عواد معروف / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤٢٥هـ / بيروت.

٢٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) / أبو جعفر محمد بن جرير الطبري / الطبعة الأولى / نشر: دار ابن حزم ـ دار الإعلام / سنة الطبع: ١٤٢٣هـ / بيروت.

٢٦. الجواهر السنية / محمد بن الحسن بن علي بن الحسين الحر العاملي / الطبعة الأولى / نشر: مطبعة النعمان / سنة الطبع: ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م / النجف الأشرف.

٢٧. خصائص الأئمة / الشريف الرضي / تحقيق: محمد هادي الأميني / نشر: مجمع البحوث الإسلامية ـ الآستانة الرضوية المقدسة / سنة الطبع: ربيع الثاني ١٤٠٦هـ / مشهد المقدسة.

٢٨. روضة الواعظين / محمد بن الفتال النيسابوري / تحقيق: مجتبى الغرجي / الطبعة الأولى / نشر: دليل ما / سنة الطبع: ١٤٢٣هـ / قم المقدسة.

٢٩. زاد المسير في علم التفسير / أبي الفرج جمال الدين بن محمد الجوزي / الطبعة الثانية / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤٢٢هـ / بيروت.

٣٠. السنن الكبرى / أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي / تحقيق: محمد عبد القادر عطا / الطبعة الثالثة / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤٢٤هـ / بيروت.

٣١. سير أعلام النبلاء / شمس الدين الذهبي / الطبعة الأولى / تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤٢٥هـ / بيروت.

٣٢. سيرة ابن إسحاق / محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي / تحقيق: د. سهيل زكار / الطبعة

الأولى / نشر: دار الفكر / سنة الطبع: ١٣٩٨هـ / نشر: دار الفكر.

٣٣. السيرة الحلبية / أبو الفرج نور الدين علي بن إبراهيم الحلبي الشافعي / تحقيق: عبد الله محمد الخليلي / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤٢٢هـ / بيروت.

٣٤. السيرة النبوية / ابن هشام / تحقيق: مصطفى السقا / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة علوم القرآن / بيروت.

٣٥. شرح إحقاق الحق / السيد المرعشي / تحقيق وتعليق: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي / نشر: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي / قم المقدسة.

٣٦. شرح صحيح مسلم / محي الدين بن يحيى بن شرف النووي / الطبعة الأولى / نشر: دار بن حزم / سنة الطبع: ١٤٢٣هـ / بيروت.

٣٧. شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد المعتزلي / تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم / الطبعة الأولى / نشر: دار إحياء الكتب العربية / سنة الطبع: ١٣٧٨هـ، ١٩٥٩م / بيروت.

٣٨. الصحاح . تاج اللغة وصحاح العربية / أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري / تحقيق: د. أميل بديع يعقوب / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤٢٠هـ / بيروت.

٣٩. صحيح البخاري / أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة بن البخاري / الطبعة الرابعة / نشر: عالم الكتب / سنة الطبع: ١٤٠٥هـ / بيروت.

٤٠. صحيح مسلم / مسلم بن الحجاج أبو الحسين النيسابوري / تحقيق: د. محمد عبد الرحمن المرعشلي / الطبعة الأولى / نشر: دار إحياء التراث العربي / سنة الطبع: ١٤٢٠هـ / بيروت.

٤١. الطبقات الكبرى / محمد بن سعد / الطبعة الأولى / نشر: دار صادر . دار بيروت / سنة الطبع: ١٣٧٦هـ / بيروت.

٤٢. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف / السيد ابن طاووس / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة الخيام / سنة الطبع: ١٣٩٩هـ / قم المقدسة.

٤٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام / الشيخ الأكبر أبي جعفر الصدوق / الطبعة الأولى / نشر: المكتبة الحيدرية / سنة الطبع: ١٤٢٥هـ / قم المقدسة.

٤٤. الغارات / إبراهيم بن محمد الثقفي / الطبعة الأولى / نشر: دار الأضواء / سنة الطبع:

١٤٠٧هـ / بيروت.

٤٥. الغدير في الكتاب والسنة والأدب / الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة البديل ـ دار المتقين / سنة الطبع: ١٤١٤هـ / بيروت.

٤٦. الفائق في غريب الحديث / جار الله محمود بن عمر الزمخشري / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤١٧هـ / بيروت.

٤٧. الفتنة ووقعة الجمل / سيف بن عمر الضبي الأسدي / تحقيق: أحمد راتب عرموش / الطبعة الثانية / نشر: دار النفائس / سنة الطبع: ١٣٩٧هـ / بيروت.

٤٨. فرحة الغري في تعين قبر أمير المؤمنين عليه السلام / عبد الكريم بن طاووس الحسني / تحقيق: تحسين آل شبيب الموسوي / الطبعة الأولى / نشر: مركز الغدير للدراسات الإسلامية / سنة الطبع: ١٤١٩هـ / بيروت.

٤٩. الفصول المختارة / الشريف المرتضى / تحقيق: السيد نور الدين جعفريان الاصبهاني / الطبعة الثانية / نشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع / سنة الطبع: ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م / بيروت.

٥٠. الفصول المهمة في معرفة الأئمة / علي بن محمد بن أحمد المالكي (ابن الصباغ) / تحقيق: سامي الغريري / الطبعة الأولى / نشر: دار الحديث للطباعة والنشر / سنة الطبع: ١٤٢٢هـ / قم المقدسة.

٥١. فوات الوفيات والذيل عليها / محمد بن شاكر الكتبي / تحقيق: د. إحسان عباس / الطبعة الأولى / نشر: دار صادر / بيروت.

٥٢. الكافئة / الشيخ المفيد / تحقيق: علي أكبر زماني / الطبعة الثانية / نشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع / سنة الطبع: ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م / بيروت.

٥٣. كامل الزيارات / الشيخ أبي القاسم جعفر بن محمد القمي / تحقيق: الشيخ جواد القيوم الأصفهاني / الطبعة الثالثة / نشر: دار نشر الفقاهة / سنة الطبع: ١٤٢٤هـ / قم المقدسة.

٥٤. الكامل في التاريخ / ابن الأثير / نشر: دار صادر / سنة الطبع: ١٣٨٦هـ، ١٩٦٦م / بيروت.

٥٥. كتاب الفتوح / أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي / تحقيق: علي شيري / الطبعة الأولى / نشر: دار الأضواء / سنة الطبع: ١٤١١هـ / بيروت.

٥٦. كتاب الفضائل / شاذان بن جبرائيل / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة الأعلمي / سنة الطبع: ١٤٠٨هـ / بيروت.

٥٧. كتاب المحبر / محمد بن حبيب البغدادي / نشر: مطبعة الدائرة / سنة الطبع: ذي القعدة ١٣٦١هـ.

٥٨. كتاب المكاسب / الشيخ مرتضى الأنصاري: تحقيق: محمد كلانة / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة النور للمطبوعات / سنة الطبع: ١٤١٠هـ / بيروت.

٥٩. كتاب المنمق في أخبار قريش / محمد بن حبيب البغدادي / تحقيق: خورشيد أحمد فارق / الطبعة الأولى / نشر: عالم الكتب / سنة الطبع: ١٤٠٥هـ / بيروت.

٦٠. الكشف الحثيث / سبط ابن العجمي / تحقيق وتعليق: صبحي السامرائي / الطبعة الأولى / نشر: عالم الكتب ـ مكتبة النهضة العربية / سنة الطبع: ١٤٠٧هـ، ١٩٨٩م / بيروت.

٦١. كشف الغمة في معرفة الأئمة / علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي / الطبعة الأولى / نشر: دار الأضواء / سنة الطبع: ١٤٢١هـ / بيروت.

٦٢. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي / أبو إسحاق الثعلبي / تحقيق: أبي محمد بن عاشور / الطبعة الأولى / نشر: دار إحياء التراث العربي / سنة الطبع: ١٤٢٢هـ / بيروت.

٦٣. كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام ويليه البيان في أخبار صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف / أبي عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي / تحقيق: د. محمد هادي الأميني / الطبعة الرابعة / نشر: شركة الكتبي / سنة الطبع: ١٤١٣هـ / بيروت.

٦٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي / تحقيق: عبد الله محمد الدرويش / الطبعة الأولى / نشر: دار الفكر / سنة الطبع: ١٤٢٥هـ / بيروت.

٦٥. المجموع شرح المهذب / محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي / تحقيق: ثمانية من الباحثين / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتب العالمية / سنة الطبع: ١٤٢٣هـ / بيروت.

٦٦. مروج الذهب ومعدن الجوهر / أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي / تحقيق: أمير مهنا / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة الأعلمي / سنة الطبع: ١٤٢١هـ / بيروت.

٦٧. المزار / الشيخ محمد بن مكي العاملي / تحقيق: محمود البدري، الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة المعارف الإسلامية / سنة الطبع: ١٤١٦هـ / قم المقدسة.

٦٨. المستدرك على الصحيحين / أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري / تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا / الطبعة الثانية / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤٢٢هـ / بيروت.

٦٩. المسند / أحمد بن محمد بن حنبل / تحقيق: أحمد محمد شكر / نشر: مكتبة التراث الإسلامي / القاهرة.

٧٠. مسند أبي يعلى الموصلي / أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي / تحقيق: ظهير الدين عبد الرحمن / الطبعة الأولى / دار الفكر / سنة الطبع: ١٤٢٢هـ / بيروت.

٧١. مسند الشاميين / الطبراني / تحقيق:حمدي عبد المجيد السلفي / نشر: مؤسسة الرسالة / سنة الطبع: ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م / بيروت.

٧٢. المصنف / عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي / تحقيق وتعليق: سعيد اللحام / الطبعة الأولى / نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / سنة الطبع: جمادي الآخرة ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م / بيروت.

٧٣. معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم / محمد بن عز الدين بن الحسن الزرندي / تحقيق: عبد الرحيم مبارك / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة الطبع التابعة للآستانة الرضوية المقدسة / سنة الطبع: ١٤٢٢هـ / مشهد المقدسة.

٧٤. المعجم الأوسط / الطبراني / تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين / نشر: دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع / سنة الطبع: ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٧٥. المعجم الصغير / الطبراني / نشر: دار الكتب العلمية / بيروت.

٧٦. المعجم الكبير / أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني / تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي / الطبعة الأولى / نشر: الدار العربية للطباعة / سنة الطبع: ١٣١٩هـ / بيروت.

٧٧. معجم رجال الحديث / السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي / الطبعة الخامسة / سنة الطبع: ١٤١٣هـ.

٧٨. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع / أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي / تحقيق: د. جمال طلبة / الطبعة الأولى / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤١٨هـ / بيروت.

٧٩. مقاتل الطالبيين / أبي الفرج الأصفهاني / الطبعة الأولى / نشر: دار التربية / بغداد.

٨٠. مقتل الإمام الحسين بن علي عليه السلام / أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد الغامدي الأزدي الكوفي / تحقيق: كامل سلمان الجبوري / الطبعة الأولى / نشر: دار المحجة البيضاء / سنة الطبع: ١٤٢٠هـ / بيروت.

٨١. المناقب / الموفق بن محمد المكي الخوارزمي / الطبعة الخامسة / نشر: مؤسسة النشر الإسلامي / سنة الطبع: ١٤٢٥هـ.

٨٢. ميزان الاعتدال / الذهبي / تحقيق: علي محمد البجاوي / الطبعة الأولى / نشر: دار المعرفة للطباعة والنشر / سنة الطبع: ١٣٨٢هـ، ١٩٦٣م / بيروت.

٨٣. الميزان في تفسير القرآن / السيد محمد حسين الطباطبائي / تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي / الطبعة الأولى / نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات / سنة الطبع: ١٤١٧هـ / بيروت.

٨٤. النصائح الكافية / السيد محمد بن عقيل بن عبد الله العلوي / الطبعة الأولى / نشر: دار الثقافة للطباعة والنشر / سنة الطبع: ١٤١٢هـ / قم.

٨٥. نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين / جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد الزرندي الحنفي المدني / الطبعة الأولى / نشر: دار إحياء التراث الإسلامي / سنة الطبع: ١٤٢٥هـ / بيروت.

٨٦. الوافي بالوفيات / صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي / تحقيق: أحمد الارناؤوط / الطبعة الأولى / نشر: دار إحياء التراث العربي / سنة الطبع: ١٤٢٠هـ / بيروت.

٨٧. الوسيط في تفسير القرآن المجيد / أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري / تحقيق: مجموعة محققين / الطبعة الثانية / نشر: دار الكتب العلمية / سنة الطبع: ١٤١٥هـ / بيروت.

المحتويات

المبحث الأول

من هو حكيم بن حزام الذي حظي بهذه الميزة الفريدة؟

المبحث الثاني

منقبية الولادة في الكعبة أهي ذاتية أم مكتسبة؟

المبحث الثالث

مناقشة الأقوال في ولادة حكيم بن حزام في الكعبة، وبيان بطلانها

المبحث الرابع

دور الزبيريين في محاربة فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام ومعاداتهم عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنها الولادة في الكعبة

المبحث الخامس

أمر الولادة في جوف الكعبة أهو بيد الإنسان أم بيد الله تعالى؟

إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة الحسينية المقدسة

ت	اسم الكتاب	تأليف
١	السجود على التربة الحسينية	السيد محمد مهدي الخرسان
٢	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية	
٣	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو	
٤	النوران ـ الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٥	هذه عقيدتي ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٦	الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي	الشيخ علي الفتلاوي
٧	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان	الشيخ وسام البلداوي
٨	الجمال في عاشوراء	السيد نبيل الحسني
٩	ابكِ فإنك على حق	الشيخ وسام البلداوي
١٠	المجاب بردّ السلام	الشيخ وسام البلداوي
١١	ثقافة العيدية	السيد نبيل الحسني
١٢	الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزآن	السيد عبد الله شبر
١٣	الزيارة تعهد والتزام ودعاء في مشاهد المطهرين	الشيخ جميل الربيعي
١٤	من هو؟	لبيب السعدي
١٥	اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل؟	السيد نبيل الحسني
١٦	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٧	أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم	السيد نبيل الحسني
١٨	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)	السيد محمدحسين الطباطبائي
١٩	الحيرة في عصر الغيبة الصغرى	السيد ياسين الموسوي

٢٠	الحيرة في عصر الغيبة الكبرى	السيد ياسين الموسوي
٢١ ـ ٢٣	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ثلاثة أجزاء	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٤	القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ وسام البلداوي
٢٥	الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة	السيد محمد علي الحلو
٢٦	قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ حسن الشمري
٢٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية	السيد نبيل الحسني
٢٨	موجز علم السيرة النبوية	السيد نبيل الحسني
٢٩	رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة	الشيخ علي الفتلاوي
٣٠	التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمي (LC)	علاء محمدجواد الأعسم
٣١	الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام	السيد نبيل الحسني
٣٢	الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٣	الخطاب الحسيني في معركة الطف ـ دراسة لغوية وتحليل	الدكتور عبدالكاظم الياسري
٣٤	رسالتان في الإمام المهدي	الشيخ وسام البلداوي
٣٥	السفارة في الغيبة الكبرى	الشيخ وسام البلداوي
٣٦	حركة التاريخ وسننه عند علي وفاطمة عليهما السلام (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٧	دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء ـ بين النظرية العلمية والأثر الغيبي (دراسة) من جزءين	السيد نبيل الحسني
٣٨	النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٣٩	زهير بن القين	شعبة التحقيق
٤٠	تفسير الإمام الحسين عليه السلام	السيد محمد علي الحلو
٤١	منهل الظمآن في أحكام تلاوة القرآن	الأستاذ عباس الشيباني
٤٢	السجود على التربة الحسينية	السيد عبد الرضا الشهرستاني
٤٣	حياة حبيب بن مظاهر الأسدي	السيد علي القصير
٤٤	الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها	الشيخ علي الكوراني العاملي
٤٥	السقيفة وفدك، تصنيف: أبي بكر الجوهري	جمع وتحقيق: باسم الساعدي
٤٦	موسوعة الألوف في نظم تاريخ الطفوف ـ ثلاثة أجزاء	نظم وشرح: حسين النصار
٤٧	الظاهرة الحسينية	السيد محمد علي الحلو
٤٨	الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام	السيد عبدالكريم القزويني
٤٩	الأصول التمهيدية في المعارف المهدوية	السيد محمدعلي الحلو
٥٠	نساء الطفوف	الباحثة الاجتماعية كفاح الحداد
٥١	الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد	الشيخ محمد السند

٥٢	خديجة بنت خويلد أُمّة جُمعت في امرأة – ٤ مجلد	السيد نبيل الحسني
٥٣	السبط الشهيد – البُعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
٥٤	تاريخ الشيعة السياسي	السيد عبدالستار الجابري
٥٥	إذا شئت النجاة فزر حسيناً	السيد مصطفى الخاتمي
٥٦	مقالات في الإمام الحسين عليه السلام	عبدالسادة محمد حداد
٥٧	الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني	الدكتور عدي علي الحجّار
٥٨	فضائل أهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين	الشيخ وسام البلداوي
٥٩	نصرة المظلوم	حسن المظفر
٦٠	موجز السيرة النبوية – طبعة ثانية، مزيدة ومنقحة	السيد نبيل الحسني
٦١	ابكِ فانك على حق – طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٦٢	أبو طالب ثالث من أسلم – طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٦٣	ثقافة العيد والعيدية – طبعة ثالثة	السيد نبيل الحسني
٦٤	نفحات الهداية - مستبصرون ببركة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ ياسر الصالحي
٦٥	تكسير الأصنام - بين تصريح النبي صلى الله عليه وآله وتعتيم البخاري	السيد نبيل الحسني
٦٦	رسالة في فن الإلقاء - طبعة ثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٦٧	شيعة العراق وبناء الوطن	محمد جواد مالك
٦٨	الملائكة في التراث الإسلامي	حسين النصراوي
٦٩	شرح الفصول النصيرية - تحقيق: شعبة التحقيق	السيد عبد الوهاب الأسترآبادي
٧٠	صلاة الجمعة– تحقيق: الشيخ محمد الباقري	الشيخ محمد التنكابني
٧١	الطفيات - المقولة والإجراء النقدي	د. علي كاظم مصلاوي
٧٢	أسرار فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام	الشيخ محمد حسين اليوسفي
٧٣	الجمال في عاشوراء - طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٤	سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم	السيد نبيل الحسني
٧٥	اليحموم، - طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني